
فريق
متميزون
E-BOOK
وراء الباب المغلق
تاريخ.. علوم.. وأشياء لا تعرفها!!
م. عبدالوهاب السيد الرفاعي
الطبعة الخامسة

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما امكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج اكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين ايديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

وراء الباب المغلق

عبد الوهاب السيد الرفاعي

مقدمة..

عزيزي القارئ.. عندما قمت بتأليف هذا الكتاب عام 1999.. لم يكن يخطر ببالي للحظة أنني سأقوم بعدها بتأليف ما يقارب 19 كتابا آخر على مدى السنوات التالية.. بل ولم يخطر ببالي أنني سأتجه يوما إلى كتابة الروايات والمجموعات القصصية!!.. كان جل اهتمامي آنذاك تأليف كتاب يتناول بعض المواضيع العلمية والتاريخية والثقافية التي يجهلها عامة الناس.. آملا أن أقدم شيئا يحفز الشباب على التفكير ويحببهم في القراءة.. لكني فوجئت بالنجاح الذي حققه الكتاب والإقبال الكبير الذي شهده في معرض الكتاب والمكتبات.. حتى نفدت الكمية تماما عام 2002 إن لم تخني الذاكرة.. ولم تتبق من إصداري الأول سوى نسخة واحدة فقط ما زلت أحتفظ بها في مكتبتي ولم تخرج منها يوما خوفا أن أفقدها.. واعتبرت إصداري هذا مجرد رقم أفتخر فيه في قائمة إصداراتي ولن أقوم بإعادة طباعته أبدا على الأرجح كوني عشقت كتابة القصص والروايات وعرفني القراء من خلالها.

ثم جاءت المفاجأة.. ففي كل معرض كتاب ألتقي فيه بقرائي الأعزاء.. أجدهم يسألون بشغف عن إصداري الأول.. وبعضهم يقضي وقتا طويلا معي محاولا إقناعي بضرورة أن يكون الإصدار متوفرا كي تكتمل مجموعتهم من كل إصداراتي المتواضعة.. و.. أمام هذا الإصرار الذي استمر سنوات طويلة.. وجدت نفسي أستسلم أخيرا.. وأقرر أن أعيد طباعته بالفعل.

لكن.. حين ذهبت لمكتبتي وتصفحت الكتاب لأول مرة منذ سنوات.. فوجئت كثيرا بضعف الأسلوب ونقص بعض التفاصيل مع وجود معلومات علمية قديمة عفا عليها الزمن.. ثم تذكرت أن أمرا كهذا طبيعيا للغاية.. فنحن نتحدث عن كتاب علمي ثقافي تم تأليفه منذ حوالي 18 عاما.. حين كنت طفلا أحبو في عالم الأدب.. لذا فمن البديهي أن يكون الإصدار بدائيا للغاية -إن صح التعبير- من حيث الأسلوب والمعلومات.. تماما كما يحدث حين نمسك هاتفا نقالا صنع عام 2000 ونقارنه بأحد الهواتف الذكية الحديثة.. لذا قررت تعديل الكثير من مواضيع الكتاب وتطوير بعض التفاصيل كي يساير العصر.

وأخيرا.. ها هو إصداري الأول أخيرا بين أيديكم بعد انقطاع طويل.. قد يجده البعض مسليا.. وقد يجده البعض ذا فائدة معلوماتية -وهو ما سعيت من أجله بالفعل- أما أنا.. فأرى أنه بمثابة مرحلة من حياتي اجتزتها منذ سنوات.. لكني أعود وأتذكرها الآن.. وأتذكر كل ما حققته من نجاحات بفضل الله وبفضل ثقة قرائي الأعزاء.. آملا أن أقدم لكم المزيد من الإصدارات التي تنال رضاكم.. ولا زلت في بدايات الطريق.

م. عبد الوهاب السيد الرفاعي

قصة الزمن

الزمن حسب ما تذكره الموسوعات هو: (الفترة الفاصلة بين حدثين متعاقبين أو أحداث متعاقبة).. تعريف بسيط للغاية وواضح.. ولكن.. متى بدأ الزمن بالضبط؟!.. قد يبدو السؤال بسيطا أيضا للوهلة الأولى.. إلا أنه ليس كذلك على الاطلاق.. فقد حير الناس منذ بدء الخليقة ولم يتمكن أحد من إيجاد الجواب الشافي له.. لقد قال البعض أن الزمن بدأ مع نشأة الكون.. وآخرون قالوا أن بداية الزمن كانت مع نشأة كوكب الأرض.. أو مع ظهور الحياة على سطحه.. أما بالنسبة للعلماء فقد ذكر بعضهم -وعلى رأسهم (أينشتين)-أن الزمن لا يبدأ ولا ينتهي أصلا.. فهو أزلي.. تماما كالطاقة التي لا تفنى ولا تستحدث من عدم.. إلا أن جميع هذه الإجابات غير مؤكدة.. أو على الأقل غير دقيقة.. فالواقع أن لا أحد يعلم متى بدأ الزمن.. ولكن الأمر المؤكد أن المصريين القدماء أول من درس الزمن ووضع تاريخا رسميا له.

كان هذا مع تطور الحضارة المصرية القديمة وظهور عدد من علماء الفلك الذين راحوا يدرسون حركة النجم المعروف باسم (الشعري اليمانية) (Sirius) وهو ألمع نجم في السماء.. ومع دراستهم هذه حدد الفلكيون المصريون القدامى عام (4241) قبل الميلاد.. وهو أول تاريخ رسمي معروف ومثبت في تاريخ البشرية.. كما اعتبروا ظهور النجم (الشعري اليمانية) هو بداية كل عام.. ثم بدأ الفلكيون بحساب أيام هذا العام.. فوجدوا أنها 365 يوما.. هي أيام السنة التي نعرفها في عصرنا هذا.. وهكذا جاءت فكرة العام.

أما بالنسبة للشهر.. فقد كان فكرة البابليون.. وذلك حين استخدموا القمر لحساب الشهور.. واعتمدوا تماما على الشهور القمرية.. مما سبب لهم الكثير من الارتباك لعدم انتظام الشهور القمرية.. فقسّم المصريون القدماء السنة إلى اثني عشر شهرا كمحاولة منهم لتعديل أسلوب البابليون المربك في تقسيم الأشهر.. وجعلوا عدد أيام كل شهر ثلاثين يوما.. أي أن السنة عندهم كانت 360 يوما فقط.. أما الأيام الخمسة المتبقية.. فاتخذوا منها عيدا يحتفلون به ولا يضيفونه إلى عمر الإنسان.

ثم جاء (يوليوس قيصر) بعد ذلك.. ودرس التقويمين البابلي والمصري.. وبعد أن اجتمع مع الفلكيين في قصره.. أصدر تقويمه الذي قسم فيه العام إلى اثني عشر شهرا.. يحوي بعضها 30 يوما.. والبعض الآخر 31 يوما.. واستثنى شهر فبراير بجعل أيامه أقصر.. بحيث يضيف إليه يوما كل أربع سنوات ليحل مشكلة ربع اليوم الذي كشف الفلكيون وجوده في كل عام.

أما بالنسبة لفكرة الأسبوع.. فهي من ابتكار اليهود.. ففي قصة الخلق في التوراة أن الله خلق العالم في ستة أيام.. ومن هنا استخدم اليهود هذه الأيام الستة مع إضافة يوم سابع للراحة.. وقسموا السنة إلى 52 أسبوعا.. وقد انتشر اليهود في العالم.. ورحلوا من مكان إلى آخر مع المحافظة على تقسيمهم للزمن.. فانتشر معهم الأمر وأصبح هناك ما يعرف بالأسبوع في كل أنحاء العالم.. وكان ذلك قبل ميلاد المسيح بعدة قرون.

ثم أتى دور تقسيم الزمن إلى أيام.. وكان ذلك أسهل بكثير من تقسيمه إلى سنوات وشهور وأسابيع.. فاليوم هو أوضح وحدة للزمن.. إذ يبدأ مع شروق الشمس.. ويمتد حتى شروقها التالي.. فشعرت جميع الشعوب والحضارات بهذه الوحدة البسيطة من الزمن وأطلقوا عليها اسم (اليوم).. ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في تقسيم هذه الوحدة إلى وحدات أصغر.. ففي البداية قسم

الناس اليوم إلى أبسط نصفين.. ليل ونهار.

ثم جاء البابليون مرة أخرى.. وقسموا اليوم إلى اثنتي عشرة فترة زمنية متساوية أطلقوا على كل منها اسم (الساعة) وقسموا الساعة إلى ثلاثين دقيقة.. وهذا يعني أن ساعتهم كانت تساوي ساعتين من وقتنا هذا.. وعلى الرغم من أن هذا التقسيم انمحى منذ أمد بعيد جدا.. إلا أننا اليوم وبعد تقسيم الزمن إلى 24 ساعة.. ما زلنا نستخدم النظام البابلي.. فما زالت كل الساعات تحمل 12 رقما بدلا من 24 رقما!!.

وقد اخترع المصريون القدماء الساعة الشمسية واستخدموها في تعديل النظام البابلي.. وذلك بتقسيم اليوم إلى 24 ساعة.. وهو التقسيم الذي نستخدمه في يومنا هذا.. وقسموا بعدها الساعة إلى 60 دقيقة.. والدقيقة إلى ستين ثانية.. و.. هكذا كان الزمن.. من سنة.. إلى شهر.. إلى أسبوع.. إلى يوم.. فساعة.. فدقيقة.. فثانية.

وعلى الرغم من كل هذه التقسيمات.. ظل الوقت غامضا للناس لا يعرفه سوى الخبراء والمختصين الذين يجيدون استخدام الساعات الرملية والشمسية والمائية وغيرها لمعرفة الوقت.. إلى أن جاء القرن السادس عشر.. ففي بدايات ذلك القرن ظهرت أول ساعة ميكانيكية ذات عقارب من النوع الذي نستخدمه في أيامنا هذه.. وتعد تلك الساعة إحدى أعظم وأهم اختراعات البشرية.. لأنها منحت الإنسان العادي القدرة على قراءة الوقت ببساطة دون الحاجة إلى سؤال الخبراء.. ومع مرور الزمن تطورت الساعات وانتشرت في كل مكان.. فظهرت الساعات الكهربائية في القرن التاسع عشر والالكترونية في القرن العشرين.

و.. لم تنته قصة الزمن عند هذا الحد.. ففي عام 1905.. نشر (آينشتين) نظريته النسبية والتي اعتبر فيها الزمن البعد الرابع للمادة.. فقد وجد أن الأبعاد الثلاثة المعروفة (الطول، العرض، الارتفاع) لا تكفي لتفسير كل الظواهر الكونية وقوانين الطبيعة.. لذا أضاف الزمن إلى هذه الأبعاد الثلاثة.. وأثبت أن الزمن هو البعد الرابع.. وتوصل إلى معادلات قلبت قوانين العلم رأسا على عقب وأعطت مفهوما جديدا للزمن.

وفى تلك النظرية.. استخدم (آينشتين) لأول مرة ذلك المصطلح العجيب المثير (الزمكان).. والمصطلح ببساطة يعنى السفر عبر الزمان والمكان في آن واحد.. أو السفر عبر الزمن كما نعرفه في قصص الخيال العلمي.. وفي ذلك الوقت كان السفر عبر الزمن يعتبر ضربا من الخيال فجره الأديب الإنجليزي الرائع (هربرت جورج ويلز) عندما نشر رائعته (آلة الزمن) عام 1895.

ففي نظريته المدهشة التى حيرت علماء جيله.. أثبت (آينشتين) أن الزمن بعد رئيسِ فى القياسات الجادة فى الرياضيات والفيزياء.. وباعتبار الزمن بُعدا.. فهو ككل الأبعاد الأخرى.. يمكن السير فيه إلى الأمام والخلف أيضا.. ومع هذه النظرية الجديدة.. لم تعد فكرة (آلة الزمن) مجرد خيال محض.. بل أصبحت احتمالا علميا منطقيا رغم معارضة عدد كبير من الناس لها بسبب نظرية فلسفية شهيرة أقرب إلى أن تكون علمية.. أو لنقل إنها المنطقة التي يتصادم فيها الفيزياء مع الفلسفة.. وأطلقوا على تلك النظرية اسم (السببية)!!.

وتلك النظرية تعتمد على أن العالم كله وحدة واحدة.. فلو تمكن أحد من السفر عبر الزمن إلى الماضى وأحدث تغييرا ما مهما بلغت بساطته.. فسيؤدى هذا إلى حدوث موجة متزايدة من التغيرات على مدى السنوات التالية يمكن أن يتغير معها تاريخ العالم كله.. مما يهدد وجود المسافر نفسه فى المستقبل!!!.. فلنفترض مثلا أن أحد العلماء عاد إلى الماضي وقتل (هتلر)

بسبب أطماعه وسياساته التوسعية.. فهل يمكن أن ينتهى الأمر عند هذا الحد؟!.. مستحيل!!.. فموت (هتلر) سيغير مصير العالم كله وتوازناته العسكرية وأعداد سكانه وقدراته التكنولوجية والعلمية.. مما يعنى أن آلة الزمن التى استخدمها المسافر لن تتاح له فى الغالب.. مما سيمنعه من السفر وتغيير الماضى.. نعم.. دائرة فلسفية غريبة معقدة لا يمكن حسمها أو فهمها أو الاقتناع بإمكانية حدوثها!!.

ثم.. ماذا لو سافر آخر وأنقذ (هتلر)؟!.. وجاء بعدها ثالث لينفيه إلى دولة أخرى.. عندئذ سيرتبك التاريخ كله في كل حادثة ومع كل مسافر عبر الزمن إلى الماضي على نحو أشبه بالعبث.. كلام منطقي للغاية كما ترون رغم كل المعادلات الرياضية التي تؤكد أن فكرة السفر عبر الزمن حقيقة علمية لا جدال فيها.. إذا.. كيف سيكون المَخرج من هذه الورطة؟!.

لقد ظهرت إجابات عديدة.. ربما أهمها أن الإنسان لو قدر له أن يسافر إلى الماضي.. فسيسافر كمشاهد للأحداث فقط.. وليس مشاركا فيها.. والأمر شبيه بما يحدث حين نرصد النجوم في السماء.. فعندما نشاهد نجما يبعد عنا 100 سنة ضوئية مثلا.. فنحن في واقع الأمر نشاهد ما كان عليه ذلك النجم منذ 100 سنة وليس ما هو عليه الآن!!!.. أي أننا نشاهد ماضي النجم وليس حاضره.. ولو افترضنا أن ذلك النجم مأهول بحضارة عاقلة.. وأن لدينا راصدا متطورا جدا.. فهذا سيعني أننا سنستطيع أن نرصد في حاضرنا تاريخ النجم وماضيه.. وهذا -مع شيء من المرونة-نوع من السفر عبر الزمن.

لذا لو توفرت لنا مستقبلا التكنولوجيا اللازمة للسفر إلى الماضي.. فسنشاهد الماضي بالفعل.. ولكن كما نشاهد فيلما على شاشة التلفاز.. ولن يكون باستطاعتنا أبدا التدخل فى الأحداث وتغييرها.. إلا أن هذا لن يجيب على كل شيء.. فماذا عن السفر إلى المستقبل؟!.. ماذا لو سافرت إلى عام 3000م مثلا؟!.. إنه المستقبل بالنسبة لك.. لكنه الماضي بالنسبة للبشر عام 3100م!!.. أي أنك بهذه الطريقة ستغير الماضي لبشر المستقبل!!.. إنها قضية شائكة معقدة بالفعل كما ترون وتبدو أنها بلا حل.

لكن.. لا توجد مشكلة هناك.. فكل الأحلام العلمية بدأت هكذا.. شبه مستحيلة.. ثم تتحقق بعد دراسات وأبحاث طويلة.. هذا ما يحدث باستمرار.. وما سيحدث دوما.. ومازال العلماء يجاهدون.. ويعملون.. ويحاولون حتى لحظة كتابة هذه السطور.. ويبقى الزمن سرا من أسرار الكون رغم كل تقدمنا واكتشافاتنا العلمية.

أكثر بقع العالم عزلة

هل تساءلت يوما عن أكثر مناطق العالم عزلة؟!.. ربما لن تجد الإجابة بسهولة.. ففي عصر العولمة وتوفر وسائل المواصلات بكل أنواعها.. بات السفر متاحا لكل مكان تقريبا على كوكب الأرض.. حتى القارة القطبية نفسها.. لكن.. هناك بقعة منعزلة تماما بالفعل.. بل وتعتبر أكثر مناطق العالم عزلة دون منازع.. والوصول إليها ليس سهلا أبدا!!.

نتحدث هنا عن جزيرة (تريستان دا كونا) (Tristan da Cunha) التي تقع في جنوب المحيط الأطلسي وتبلغ مساحتها تقريبا 98 كم مربع وعدد سكانها أقل من 300 شخص فقط.. يعمل معظمهم في الزراعة وصيد السمك!!.. وحتى تعرف مدى عزلة هذه الجزيرة الصغيرة عن العالم.. لك أن تعلم أن أقرب يابسة لها هي جزيرة (سانت هيلانة) (Saint Helena) التي تبعد عنها بمسافة 2000 كيلو متر.. أما أقرب دولة لها فهي (جنوب أفريقيا) وتبعد عنها مسافة 2400 كيلو متر.

لقد تم اكتشاف الجزيرة عام 1506م من قبل المستكشف البرتغالي (تريستاو دا كونا) (Tristão da Cunha) حيث قام بإطلاق اسمه عليها.. لتظل منسية تماما منذ ذلك الحين وحتى عام 181 حين قامت بريطانيا باستعمارها.. فأصبحت الجزيرة بريطانية الجنسية حتى يومنا هذا.. لكنها ظلت مهملة لسنوات طويلة.. إلى أن قامت الحكومة البريطانية في عام 2005 باستحداث رمز بريدي للجزيرة ليسهل على الأهالي طلب البضائع والمراسلات والاتصال بالعالم.

وفي عام 2008.. حدث التحول الأكبر.. حين قامت الحكومة البريطانية بإيصال التيار الكهربائي رسميا للجزيرة.. بعد أن ظل الأهالي لسنوات طويلة يعانون الأمرين معتمدين على مولدات الكهرباء التي تتسبب دوما بمشكلة انقطاع التيار في فترات متقاربة قد تصل إلى عدة مرات في اليوم الواحد.

أما بالنسبة للاتصالات الهاتفية الدولية.. فإن الجزيرة تحمل نفس رقم الاتصال الدولي البريطاني.. إذ يتم تحويل أي اتصال إلى شركات الهواتف في بريطانيا.. ومن ثم يتم تحويلها إلى الجهة المراد الاتصال بها في أي مكان في العالم.. والعكس صحيح.. وبالطبع لا تتوفر هناك خدمة الهواتف النقالة.

أما بخصوص الحياة في الجزيرة.. فتعتبر اللغة الإنجليزية لغتها الرسمية.. وهناك نظام حكم يعتمد على انتخابات تجري كل 3 سنوات يتم خلالها انتخاب مجلس يتكون من 3 أشخاص يديرون شؤون الجزيرة.. كما توجد مدرسة واحدة بسيطة الإمكانيات تحوي 5 فصول.. وتستقبل الأطفال من سن الخامسة إلى مرحلة الثانوية.. وتحوي الجزيرة أيضا عيادة طبية صغيرة يدير شؤونها الطبيب الوحيد هناك.

والواقع أن زيارة الجزيرة لا تتطلب استخراج أي تأشيرات.. فقط عليك مخاطبة حكومتها عبر بريدها الإلكتروني الرسمي enquiriestdc1@gmail.com ليتم تسليمك تأشيرة دخولك حال وصولك.. لكن المشكلة تكمن في الرحلة التي ستكون شاقة بالفعل وتتطلب بعض التخطيط.. إذ تبدأ من الطيران من بلدك إلى (جنوب أفريقيا) في رحلة تستغرق بضع ساعات.. ثم عليك أن تأخذ سفينة لتصل إلى الجزيرة في رحلة بحرية تستغرق 6 أيام تقريبا!!.. نعم.. فلا يوجد هناك مطار..

وهذا ما جعل الجزيرة أكثر مناطق العالم عزلة.

وبخصوص التنقل داخل الجزيرة.. فهناك طريق واحد مسفلت.. ويستخدم للحافلة التي تذهب بالسكان إلى وجهتهم أثناء تنقلاتهم اليومية.. وهي الحافلة الوحيدة المتاحة.. ولا توجد هناك أي سيارات أخرى.. فالأسلوب الأمثل للتنقل هو المشي أو بالدراجة لصغر مساحة الجزيرة.

وتحتوي الجزيرة على مقهى واحد فقط يقدم الوجبات الساخنة والباردة.. مع خدمة الانترنت التي تقدّم للأهالي بقدرات محدودة جدا لا تتجاوز إرسال البريد الإلكتروني مع بعض الخدمات البسيطة الأخرى كزيارة مواقع التواصل الاجتماعي.. وبالطبع لا توجد هناك قناة تلفزيونية.. بل محطة إذاعية أنشأها بعض الأهالي وتبث برامجها بأوقات محدودة بين الحين والآخر وليس بصورة دورية.

ولم ينس أهالي الجزيرة الجانب السياحي رغم قلة السائحين الذين يزورونها سنويا.. إذ يقوم مكتبها السياحي الصغير بتنظيم رحلات صيد السمك.. أو تسلق الجبل البركاني الذي ثار لآخر مرة عام 1962.. أو حتى لأخذك في رحلة سياحية قصيرة للسير في كل أنحاء الجزيرة.. وهناك أيضا لعبة (الجولف) التي تم تخصيص ملعبا لها.. كما توجد بعض المنازل التي قام أصحابها بتحويلها إلى فنادق صغيرة تقدم للزائر غرفة بوجباتها الثلاث.. ويقال أن من يزور الجزيرة سيتملكه شعور رائع بالطمأنينة.. خاصة مع منظر النجوم ليلا والذي يعتبر لمن يشاهدها من هناك مبهرا بكل المقاييس!!!.

هذا كل ما قد نرغب بمعرفته عن تلك الجزيرة التي تعتبر -رسميا-أكثر مناطق العالم عزلة دون منازع.. وربما أكثرها أمنا أيضا!!.. نعم.. إذ لا يوجد هناك جهاز شرطة رسمي لانعدام الجرائم.. ربما بسبب قلة عدد سكانها والحياة البسيطة التي يعيشها الأهالي والروابط الاجتماعية التي تجمعهم.

وتجدر الإشارة أن من القوانين الصارمة التي أقرتها حكومة الجزيرة.. عدم السماح لأي أجنبي بتمّلك أرض هناك.. حفاظا من الأهالي على تراثهم وعلى تركيبتهم السكانية البسيطة.

كما ترون.. مكان قد يبدو حميما للغاية للكثيرين ويستحق الزيارة بالفعل.. بعيدا عن زحمة الحياة والانفجار السكاني والتلوث الذي وصل إلى كل بقعة من كوكب الأرض.. لكن.. بقيت تلك الجزيرة وحدها صامدة أمام كل التغيرات التي شهدها العالم.. بسبب عزلتها.. وصعوبة السفر إليها.

مغالطات منطقية

من منا لم يخض نقاشا يوما مع صديق أو أحد أفراد العائلة.. أو حتى مع شخص قابلناه مرة واحدة فقط أثناء السفر مثلا؟!.. من منا لم يشهد اختلافا في وجهات النظر بينه وبين من يناقشه حول موضوع ما؟!.. لا أحد طبعا.. وعموما فإن هذه الاختلافات في وجهات النظر هي التي تثري ثقافة الإنسان.. لهذا السبب تنتشر برامج المناظرات في كل أنحاء العالم.. ولكن لماذا تنتهي بعض النقاشات بالشجار أو الصراخ أو.. إلخ؟!.

حسنا.. السبب بكل وضوح هو (المغالطات المنطقية) (Logical Fallacies) التي يمارسها الإنسان قليل الثقافة.. وأحيانا تجد الإنسان المثقف المطّلع يرتكبها أيضا مع كل أسف.. وهذه المغالطات المنطقية هي سبب فشل أي مناظرة أو أي نقاش وانتهاء الأمر إلى الشجار الذي يصل إلى التهجم والضرب على الهواء مباشرة كما نشاهد أحيانا في القنوات الفضائية.. ولكن.. ما هي المغالطات المنطقية هذه؟!.. ما الذي تعنيه؟!.

حسنا.. يجب أولا أن نقوم بتعريف كلمة (مغالطة).. فالمغالطة هي قول أو رأي أو فكرة قد تبدو وكأنها برهان صحيح أو سليم.. لكنها في الواقع مجرد وهم سرعان ما يتلاشى أمام التحليل العقلي.. فهناك الكثير من الآراء التي قد تجدها مقنعة ومنطقية جدا.. لكنها في واقع الأمر مغالطات يرتكبها أصحابها بقصد أو من دون قصد لخداع البسطاء.. وأحيانا يخدعون أنفسهم بها.. تماما كمن يعيش كذبة ويصدقها ويقاتل من أجلها دون أن ينتبه لكونها كذبة.

والآن.. لنستعرض تلك المغالطات المنطقية معا كي تتضح لنا الصورة.. ولنحاول تجنبها لو خضنا أي نقاش قادم حول أي موضوع.. فبهذه الطريقة سنعرف كيف نفكر بطريقة علمية وعقلانية.. وكيف نرد في نقاشاتنا حول أي موضوع:

1) مغالطة (التهجم على الخصم).. وتتلخص هذه المغالطة بعدم التفات المغالِط إلى الحجج والبراهين التي يقدمها الخصم.. بل يكون التركيز على الانتقاص منه بشيء محدد.. كأن يقوم الخصم بتقديم أدلة وبراهين على قضية معينة.. لكن هذا الخصم يشرب الخمر مثلا.. حينها يقوم المغالِط بمعايرة الخصم بشرب الخمر واتهامه بالفجور.. رغم أن هذا لا علاقة له اطلاقا بموضوع النقاش والحجج التي يقدمها الخصم.. فسواء شرب الخمر أم لم يشربه.. لن تتغير حججه أو براهينه حول محور النقاش.

2) مغالطة (رجل القش).. ففي هذه المغالطة نجد المغالِط يجتزئ أو يقوم بتحوير كلام الخصم متعمدا كي يستخدمه ضده.. أو يخترع كلاما سخيفا وينسبه ضد الخصم ليهزمه في النقاش.. فيكون حينها كمن صنع فزاعة من القش وراح يهاجمها بدلا من مهاجمة الشخص الحقيقي.. تماما كما يحدث حين يطالب البعض بمساواة المرأة بالرجل.. هنا يأتي بعض المعارضين ويتهمون صاحب هذه المطالبة أنه يريد الانحلال الأخلاقي وأن تمارس المرأة الجنس بحرية دون قيد أو شرط.. رغم أن صاحب تلك المطالبة ربما يرغب بمساواة المرأة بالرجل من حيث الوظائف والحقوق والواجبات مثلا.

3) مغالطة (اللجوء إلى شيوع الفكرة).. وهنا يعتمد المغالِط على رواج فكرة معينة في المجتمع.. فيعتبر أن ما أجمع عليه الناس هو الصواب.. ويبرر بذلك أنه من غير المعقول أن يتفق الناس

كلهم على باطل.. كأن تقول: هذا صواب لأن معظم الناس يرونه صوابا!!!.. وكي نعرف خطأ تلك المقولة.. يجب أن نتذكر أن جميع الناس كانوا يظنون يوما أن الأرض هي مركز الكون.. أو أن الأرواح الشريرة هي وراء الأمراض والأوبئة كما كان شائعا في الأزمان القديمة.. هذه المعتقدات ثبت بطلانها رغم أن جميع شعوب الأرض آنذاك كانت تراها كحقائق مسلم بها.. أو أن يقول مسيحي مثلا أن المسيحية هي الحق لأن معتنقيها هم الأكثر في العالم.. فإجماع الناس على فكرة ليس بالضرورة برهانا على صحتها.. إلا بالطبع ما يتم إثباته بالتجربة أو بالملاحظة.. كأن يجمع العالم بأكمله على وجود الباكتيريا مثلا.. فهذه حقيقة نتفق عليها جميعا لأنها ثبتت علميا.

4) مغالطة (التوليد).. هنا تكمن المغالطة في قبول فكرة أو رفضها بسبب طبيعة قائلها وليس بسبب خطأ الفكرة نفسها.. كأن يأتي اسرائيلي مثلا ويقول أن الدول العربية متخلفة علميا وثقافيا.. فكونه اسرائيليا لا يعني أن كلامه غير صحيح.. هنا يرفض العربي هذه المقولة بسبب مصدرها وليس بسبب قيمتها الذاتية كمقولة وتطابقها مع الواقع المرير.. والأمر شبيه حين نرفض ابن القاتل لأنه ابن قاتل فحسب.. فلا علاقة للابن بالطبع بأفعال والده.

5) مغالطة (الاحتكام إلى شخص في غير تخصصه).. وتحدث حين يزج المغالِط باسم شخصية مرموقة لتأييد فكرته.. والخلل أن تلك الشخصية المرموقة قد تعتبر حجة في مجال تخصصها بالفعل.. ولكن ليس في مجال موضوع النقاش.. تماما حين يتحدث أديب شهير جدا عن نظرية الانفجار الكبير (Big Bang Theory) ويقول إنها محض هراء.. المشكلة هنا أن هذا الشخص لا يعد مرجعا في موضوع النقاش.. لذا لا يمكن الاستدلال برأيه.

6) مغالطة (السؤال المحمل بالإجابة).. وهذه المغالطة تعتمد على توجيه سؤال ظالم يمارس فيه المغالِط الإرهاب الفكري على من يناقشه.. كأن يأتي قاض في دولة قمعية ويسأل المتهم: لماذا تقف ضد حاكمنا العادل وتهاجم أفكاره؟!.. هذا السؤال نفسه غير صحيح.. فالقاضي يفترض أن الحاكم رجل عادل.. في حين يراه المتهم غير ذلك.. أو حين يسأل شخص متطرف إنسانا معتدلا: لماذا تكره جماعتنا التي تحارب باسم الله؟!.. هذا السؤال محمل بإجابة.. فالمخالف لا يرى أن تلك الجماعة تحارب باسم الله أصلا.

7) مغالطة (اللعب بالألفاظ).. هنا يعطي المغالط معنى آخر لكلمة معينة ليثبت قضيته مستغلا ضعف ثقافة مستمعيه مثلا.. وهذه المغالطة تعتمد غالبا على الكذب المباشر الصريح مع الأسف.

8) مغالطة (صرف الانتباه عن القضية الرئيسية).. وهنا يسعى المغالط إلى التشويش على خصمه بزج قضية أخرى لا علاقة لها بالقضية الرئيسية.. فقط لتشتيت الخصم وإخراجه ضعيفا مهزوما عاجزا عن الرد أمام الناس.. كأن تناقش أحدهم في موضوع ما.. ويأتي ليطرح عشرات الأسئلة حول قضايا هامشية لا تمس نقطة النقاش أصلا.

9) مغالطة (احتمالين لا ثالث لهما).. حين يلجأ المغالط لتوريط خصمه بمنحه خيارين فقط عليه أن يختار أحدهما.. وذلك رغم احتمالية وجود خيارات أخرى.. كما فعل الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج بوش) حين قال ذات يوم: ((سنحارب الإرهاب.. إما أن تكون الدول ضدنا أو معنا)).. هنا أهمل الاحتمال الثالث.. أن تكون هناك دول تختار الحياد والابتعاد عن هذا الصراع بأكمله مثلا!!.

10) مغالطة (الاحتكام إلى الأماني).. كأن يقول من ينتمي لحزب أو تيار معين أن تياره أو حزبه هو الأفضل والأنسب.. فمن الطبيعي أن يقول هذا لأنه ينظر للمسألة من منظور شخصي تغلب عليه

المصلحة والهوى.

11) مغالطة (التعميم).. كأن يكره أحدهم سكان دولة بأكملها لأنه تعرض لموقف سيّئ أثناء سفره إليها.. وهذه من أكثر المغالطات شيوعا.. وربما هي سبب رئيسٍ لانتشار الفكر المتطرف تجاه دين أو مذهب أو جماعة.. إلخ.

1) مغالطة (تبديل عبء الإثبات).. فمن يزعم أو يدعي شيئا.. سيتوجب عليه هو الإتيان بالدليل.. كأن يؤمن شخص بوجود الأشباح.. وحين تطلب منه الدليل على وجودها.. سيقول لك: ((هل تستطيع إثبات عدم وجودها؟!!)).. المغالِط هنا هو من يؤمن بوجود الأشباح ولست أنت.. لذا هو من يفترض أن يتحمل عبء الإثبات.

1) مغالطة (اللعب على المشاعر).. وكما هو واضح من الاسم.. فهذه المغالطة تعتمد على استثارة مشاعر الناس لتأييد فكرة ما بدلا من الإقناع العقلي.. كأن يطالب الخصم بإدخال إحدى التقنيات أو الاختراعات إلى بلده.. في حين تجد المغالِط يظهر أمام الناس باكيا ويدّعي أن الخصم يسعى لكسر عادات المجتمع وتقاليده ويريد هدم ثقافته والتشبه بالمجتمعات الأخرى.. فلو كان المغالِط يرى الخطأ بإدخال هذه التقنية إلى بلده.. عليه بتبيان السبب والتأثيرات السلبية التي ستجلبها التقنية.. هنا ستكون حجته صحيحة.

1) مغالطة (وأنت أيضا).. وهي مغالطة شهيرة جدا.. حين يبرر المغالِط لنفسه شيئا فقط لأن آخر قام به!!!.. كأن يتهم صحفي إحدى الدول بامتلاء مؤسساتها بالرشاوي والفساد.. فيرد عليه مواطن من تلك الدولة أن مجتمع الصحفي يمتلئ أيضا بالفساد والرشاوي.. حسنا.. قد يكون مجتمع الصحفي صاحب الاتهام كذلك بالفعل.. لكن المواطن هنا لم يرد على الاتهام ولم يفنده أو يؤكده.

) مغالطة (الجدل الدائري).. وهي باختصار شديد (اللف والدوران) كما نقول دوما.. وعدم الإجابة بصراحة ووضوح على موضوع الخلاف.

هذه معظم المغالطات التي يمارسها الناس بقصد أو دون قصد.. علما بأنها منقولة بتصرف من مصادر عديدة.. المهم الآن -بعد هذا الشرح المفصل-أن نحاول تجنب تلك المغالطات وأن يكون نقاشنا علميا عقلانيا مبني على الأدلة.. هكذا نستفيد من النقاشات ونخرج منها بالفائدة.. فالمهم أن نتعلم ونزيد من حصيلتنا العلمية.. وليس أن نكون على حق.

الموت الأسود

سمعنا كثيرا عن وباء الطاعون.. ولو سألنا أي شخص عنه.. فسيجيب باختصار أنه وباء اجتاح العالم يوما وفتك بالملايين.. هذا الكلام صحيح إلى حد كبير بالطبع.. لكنه لا ينقل لنا الصورة السوداوية التي كان العالم عليها في القرون الوسطى.. فالطاعون -أو الموت الأسود كما أطلق عليه- هو على الأرجح أسوأ كارثة في تاريخ البشرية.. وكاد أن يتسبب بانقراضها دون مبالغة.. فقد تسبب بوفاة أعداد هائلة من الناس يصعب حصرها.. لكن الإحصائيات تقول أن الرقم قد يصل إلى حوالي 200 مليون ضحية.. وهو أكبر بكثير من عدد ضحايا الحرب العالمية الأولى والثانية مجتمعين.

وقد وصلت ذروة وباء الطاعون في الفترة 1346-1353 ميلادية.. حتى تناقص عدد سكان العالم كثيرا.. بل أن هناك دراسات تشير إلى أن أوروبا وحدها فقدت حوالي 45% من سكانها.. ويقال أن عدد سكان العالم لم يبدأ بالتصاعد وتجاوز تلك الكارثة إلا بعد 3 قرون تقريبا.

وبالطبع لنا أن نتخيل الكوارث الاقتصادية التي تسبب فيها الوباء آنذاك.. إذ توفي الملايين بسبب الجوع والفقر والانهيار الاقتصادي الذي أصاب جميع أنحاء أوروبا.. حتى اقتربت الكثير من الدول الأوروبية إلى الانهيار الكامل.. فكانت الكنائس تصرخ طوال الوقت أن نهاية العالم باتت قريبة من هول الأحداث.. خاصة وأن جثث الموتى كانت تملأ الشوارع بمشهد يقشعر له البدن كما تقول الكتب التاريخية.

وقد تبين من الدراسات الحديثة أن سبب الوباء كان نوعا من الباكتيريا يطلق عليه اسم (Yersinia Pestis).. هذه الباكتيريا كانت تحملها البراغيث التي تعيش على الفئران.. والتي كانت بدورها تعيش في أقبية سفن الشحن التي تسافر من آسيا إلى أوروبا.. أي أن شرارة المرض انطلقت فعليا من آسيا.. إذ حصد المرض في الصين وحدها 25 مليون ضحية.. مع ملايين أخرى لا تحصى في دول أخرى.. ابتداء من الهند وبلاد ما بين النهرين (العراق حاليا) التي خسرت ثلثي سكانها.. إلى مكة واليمن ولبنان وسوريا ومصر التي خسرت ما يقارب 40% من سكانها!!!.. فبدا احتواء الوباء مستحيلا.. ومع غياب أي علاج.. ومع عدم معرفة أسباب الوباء آنذاك.. كان كل إنسان يترقب الموت فحسب.

أما بخصوص أعراض الطاعون.. فكانت البداية بورم بسيط يظهر على الفخذ أو على الإبط.. ثم يبدأ ينتفخ أكثر ليصبح بحجم البيضة تقريبا!!!.. لينتشر بعدها سريعا في الجسم بأكمله.. وبعدها تتغير الأعراض لتظهر البقع السوداء على الجسد.. ويبدأ يتقيأ المريض دما باستمرار مع حمى شديدة تنتهي بالوفاة.. وتظهر أيضا أثناء تلك الأعراض (غرغرينا الأطراف).. أي تعفن أطراف الإنسان.. فتموت خلايا الجسد ويتحول الجلد إلى اللون الأسود.. وقد يبدو للقارئ أن هذه الأعراض تستغرق وقتا طويلا.. لكنها في الواقع لا تتعدى أسبوعا واحدا منذ ظهور أول الأعراض وحتى وفاة المريض!!!.

لقد ظن الناس أن سبب الوباء هو الهواء الفاسد فحسب.. وربما ساعد على هذا الاعتقاد امتلاء شوارع أوروبا بالقاذورات في ذلك الزمن.. إذ لم يهتم الناس بتنظيف الشوارع قبل القرن التاسع عشر تقريبا.. فكانت تلك القاذورات مرتعا للحشرات والفئران والروائح الكريهة.

وبالطبع اجتاحت العالم فوضى لا يمكن تخيلها آنذاك وسط جهل العالم بأسباب الوباء وأعراضه.. إذ قامت السلطات في بعض الدول بحملات إعدام واسعة النطاق على كل من يشكون بإصابتهم بالوباء.. بل أن بعض السلطات قامت بإعدام من يمتلئ وجهه ببثور حب الشباب ظنا منهم أنه يحمل العدوى.. وحتى الذين هربوا من المدن لتجنب الموت لقوا حتفهم من شدة البرد والجوع بعد أسابيع قليلة.

وجدير بالذكر أن فكرة (الحجْر الصحي) عرفت في تلك الفترة في مدينة (دوبروفونيك) (Dubrovnik) في (كرواتيا) بعد انتشار الوباء فيها بصورة مخيفة.. إذ استنتج حينها الناس فكرة الابتعاد عن المصابين وعدم الاقتراب منهم.

وهكذا أخذ الوباء دورته وقضى على ملايين البشر.. قبل أن تكتسب الأجيال التالية المناعة اللازمة.. ليندثر الوباء تماما في زمننا الحالي.. خاصة مع الرعاية الصحية والاهتمام في البيئة ومكافحة القوارض التي توليها دول العالم اهتمامها.

بقي أن نذكر أن الطاعون ضرب أوروبا وبعض دول العالم في قرون لاحقة أيضا.. آخرها في القرن التاسع عشر.. وهو يعتبر الوباء الوحيد في تاريخ البشرية الذي وصل إلى كل بقاع العالم.. حتى قارة أمريكا عانت منه ولكن بدرجة أقل في الفترة 1900-1904.. إذ لم يتجاوز عدد الضحايا آنذاك بضع مئات.

للخيال أنواع

عندما نتحدث عن الخيال فإن العديد من الأفكار المتضاربة تغزو أذهان الناس.. وعدد ليس بالقليل منهم يضعون قصص (هاري بوتر) و(سيد الخواتم) ورواية (من الأرض إلى القمر) وأفلام غزو المخلوقات الفضائية في خانة واحدة.. خانة الخيال فحسب!!.. لكن الخيال في واقع الأمر أكبر من هذا التصنيف بكثير وأشد تعقيدا.

وحتى نبسط الأمر.. يجب أن نذكر أولا أن هناك تصنيفا رئيسيا للخيال يقسمه إلى نوعين فقط.. الأول هو (الخيال الحر) أو (الفانتازيا).. وهو الخيال الذي لا يرتبط بأي قواعد علمية ولا يخضع لأي قيود فكرية.. ونلاحظ هذا في كل قصص وأفلام الخيال الحر ابتداء من (ميكي ماوس) وانتهاء ب (هاري بوتر).. وهو خيال ممتع ورائع دون شك وله عشاقه في كل أنحاء العالم.. وغالبا ما يعتمد الخيال الحر على اختلاق عوالم كاملة لها قواعدها العلمية والاجتماعية والعسكرية... إلخ.. وهي عملية شاقة جدا ومرهقة للمؤلف.

وهناك النوع الآخر من الخيال والذي يعتبره البعض أشد تعقيدا وعمقا.. وهو الخيال العلمي.. فالخيال العلمي يختلف تماما عن الخيال الحر.. إذ يستند إلى حقائق أو نظريات علمية وينطلق منها إلى تصور نتائج تطبيقها في المستقبل.. أو بمعنى أسهل.. نستطيع أن نقول أن الخيال العلمي هو أدب توقع العلم في المستقبل وكيف سيكون تأثيره على المجتمع.

وحتى نفهم الخيال العلمي جيدا.. يجب أن ندرك أنه ينقسم إلى أكثر من 20 نوعا.. ولا يقتصر على سيوف الليزر وسفن الفضاء كما قد يظن الكثيرون.. فهذا نوع واحد فقط من الخيال العلمي يطلق عليه اسم (أوبرات الفضاء).

لكن هناك أنواعا كثيرة أخرى.. منها (غرباء بيننا).. وهو الخيال العلمي الذي يناقش قضايا المخلوقات الفضائية التي تغزونا أو تعيش بيننا والذي ناقشته الكثير من الأفلام والروايات.. وهناك أيضا (التاريخ البديل).. والذي يفترض تغييرات في التاريخ وعما سيكون عليه شكل العالم بعد هذه التغييرات.. أي أنها القصص التي تطرح تساؤلات من طراز: ماذا لو حدث كذا أو لم يحدث كذا؟!.. ماذا لو ربح (هتلر) الحرب العلمية الثانية.. ماذا لو ظل العرب يحكمون (الأندلس).. وهكذا.

ولا ننسى نوعا مهما من قصص الخيال العلمي وهو (العوالم البديلة والموازية) والذي يتحدث عادة عن رحيل جماعي للبشر إلى كوكب آخر أو بُعد آخر بعد استنفاد موارد كوكب الأرض.. وهناك أيضا (تحدي الجاذبية).. و-كما هو واضح من الاسم- يتعلق بالطيران والسفر إلى نقاط بعيدة من الكون.. و(مدن الغد).. الذي يتحدث عن المدن التي يعيش عليها بشر الغد.. ويناقش هذا النوع من الخيال العلمي العديد من القضايا المستقبلية ك: الجريمة في الغد.. تربية أبناء الغد.. حكومة الغد.. إلخ.. ويعتبر الفيلم الشهير (تقرير الأقلية) أو (Minority Report) مثالا صارخا على ذلك.

أما أشهر أنواع الخيال العلمي في الألفية الجديدة فلا شك أنه (Cyber Punk) أو (مجرم الإلكترونيات) ويتحدث عن عالم المتسللين إلى الأنظمة (الهاكرز) والكمبيوترات ذات الذكاء الصناعي.. ورأينا هذا النوع واضحا جليا في الفيلم الشهير (The Matrix).. وإذا كان هذا النوع يعد

-على الأرجح-أحدث أنواع الخيال العلمي.. فإن أقدمها قد يكون (اليوتوبيا) (Utopia) أو (المدينة الفاضلة).. والذي يقوم بتصوير الحياة في المدينة الفاضلة الخالية من الجرائم والشرور.. ولكن عادة ما يتم تناول هذه الفكرة في قصص الخيال العلمي لإيجاد ثغرات في الحياة الفاضلة وتأكيد فكرة فلسفية مهمة وهي أن بعض الفوضى ضرورية ولا بد منها في حياة البشر.

وهناك أيضا (نقيض اليوتوبيا) (Dystopia) والذي يقدم لنا مستقبلا مظلما ينتظرنا كالكابوس ولا أمل في إصلاحه.. وربما يكون فيلم (كوكب القردة) بنسخته الأولى عام 1968 خير مثال على ذلك.

كما يوجد نوع آخر من الخيال العلمي قد يظنه البعض محض هراء ولا يستند لأي منطق علمي.. لكن العلم يقول عكس ذلك تماما.. خاصة مع وجود تجارب أولية تؤكد إمكانية حدوثه على أرض الواقع.. نتحدث هنا عن (الانتقال الآني).. أي تفكيك جزيئات الجسم من مكان ما.. ليتم استقبالها وإعادة تجسيدها في مكان آخر.. كأن تدخل كابينة في (الكويت) لتذوب جزيئاتك وتتجمع لتظهر في (هولندا) مثلا.

ولم ينسَ الخيال العلمي القدرات البشرية الخارجة عن المألوف.. كقدرات (قارئي الأفكار) و(المحركين عن بعد) و(المستبصرين).. فهي كلها تندرج تحت بند (القدرات البشرية الخارقة) وهو أحد أنواع الخيال العلمي بالفعل.

أما أكثر أنواع الخيال العلمي صعوبة وندرة بنفس الوقت من ناحية الانتاج الأدبي والسينمائي.. فهو (الخيال العلمي الصعب) (Hard Science Fiction).. إذ يرتبط بالنظريات العلمية بصورة دقيقة جدا.. وهو نوع من الأدب من العسير أن يستوعبه القارئ العادي غير المطلع في مادة الرواية العلمية.. وربما لهذا لم تنتج هوليوود في تاريخها سوى القليل جدا من هذه النوعية من القصص.. لعل أهمها الفيلم الرائع (Interstellar).

ولو تحدثنا عن الخيال العلمي الذي أسر قلوب الأدباء والقراء على حد سواء فسنذكر مباشرة (السفر عبر الزمن).. سواء إلى الماضي أو المستقبل.. وكان أول من بدأ تلك الفكرة الكاتب النرويجي (يوهان هيرمان فيسل) (Johan Herman Wessel) عام 1781.. لكن القصة الأشهر دون شك كانت للرائع (هـ. ج. ويلز) والتي حملت اسم (آلة الزمن).

ويجب أن نتذكر هنا بعض كتاب الخيال العلمي العربي أيضا والذين أثروا الأدب العربي في هذا النوع من الروايات.. مثل الأستاذ (نهاد شريف) والدكتور الشهير (نبيل فاروق) رائد أدب الخيال العلمي في العالم العربي وصاحب سلسلة (ملف المستقبل) الشهيرة.. والأستاذ (رؤوف وصفي) والدكتور (طالب عمران).

ولا بد في الختام أن نتذكر مزية هامة لهذا النوع من الأدب والذي تتجاوز متعته لذة القراءة كما هو الحال في معظم أنواع الأدب الأخرى.. فهو يقدم فائدة أخرى للقارئ وهي الفائدة العلمية والمعلوماتية.. لهذا انبهرت شعوب العالم بالخيال العلمي.. وباتت رواياته وأفلامه تحقق مبيعات هائلة في السنوات الأخيرة.

وبسبب هذا النوع من الأدب أيضا.. حدثت الثورة الصناعية في أوروبا واليابان.. بل أن هناك أفلاما وثائقية كثيرة على (YouTube) تبين كيف أثر الخيال العلمي على المجتمعات المتقدمة وحفز عقول علمائها لإنتاج كل ما ننعم به في زمننا الحالي من تكنولوجيا.

دراكيولا

الحديث هنا ليس عن (دراكيولا) مصاص الدماء الشهير الذي قدمته السينما العالمية في عشرات الأعمال السينمائية والتلفزيونية.. بل عن (دراكيولا) الحقيقي!!.. فهو شخصية حقيقية عاشت في الفترة 1428 – 1477 ميلادية.. وكان اسمه الحقيقي (فلاد داركيول).

وقد تحدثت عنه كتب التاريخ بالتفصيل بعد أن قام بأعمال وحشية يشيب لهولها الولدان.. حتى أُطلق عليه لقب (فلاد المخوزق) (Vlad The Impaler) نسبة إلى ولعه بالخوزقة.. والتي كانت تعتبر وسيلة الإعدام المفضلة لديه لأنها تقتل الناس ببطء قد يصل لعدة أيام تعاني فيها الضحية عذابا لا يوصف.

وتتلخص الخوزقه بغرس وتد خشبي كبير في الأرض بحيث تكون نهايته حادة جدا.. وبعدها يتم جلب الشخص المراد إعدامه.. ليتم إرغامه على الجلوس على نهاية الوتد الخشبي الحادة بكل ثقله وقدماه لا تلمسان الأرض بسبب طول الوتد.. لتظل الضحية معلقة هكذا إلى أن تموت!!!.. ولك أن تتصور الألم الرهيب الذي تعانيه الضحية جراء هذه الوسيلة البشعة للقتل.

وتذكر كتب التاريخ أن (دراكيولا) حين أصبح حاكما ل(والاشيا) (Wallachia) -التي أصبحت في زمننا الحالي جزءا من (رومانيا)- قام بدعوة الفقراء والعجائز والمعاقين من أبناء مملكته لحضور وليمة هائلة أمر بإعدادها خصيصا لهم.. وبالطبع لبى الجميع دعوته.. وقام الضيوف المساكين بالأكل والشرب وهم لا يصدقون أعينهم.. فتركهم منشغلين بالوليمة.. ثم خرج مع جنوده من قلعته وأقفل أبوابها على هؤلاء الناس.. و.. بكل بساطة.. أمر بحرق القلعة!!!.. فأشعل الجنود النار ليحترق جميع الفقراء المسجونين في الداخل.. وقد برر فعلته الشنيعة هذه أنه كان لا يريد أن يكون هناك أي فقراء في مملكته.. لذا كان الحل الأمثل التخلص منهم!!.

وهناك قصص أخرى أكثر وحشية من هذه بكثير.. منها ما فعله عندما قام بدعوة مجموعة من النبلاء لوليمة كبيرة في قصره تقام على شرفهم.. وبينما هم على مائدة الطعام.. سألهم (دراكيولا) عن عدد الحكام الذين عاصروهم في (والاشيا).. فرد عليه بعضهم أنهم عاصروا عددا كبيرا من الحكام نظرا للدسائس والمؤامرات والاغتيالات الكثيرة التي حصلت تجاه هؤلاء الحكام والتي تؤدي بطبيعة الحال إلى تغيير الحاكم.. فنهض (دراكيولا) غاضبا وصرخ فيهم بثورة فاجأت الجميع مدعيا أنهم السبب الرئيسي وراء كل الدسائس التي كانت تحصل في الماضي!!!.. وأمر بإلقاء القبض عليهم.. ثم أرسلهم إلى منطقة جبلية لبناء قلعة جديدة له هناك.. فكان النبلاء يعملون في الجبل وسط الصخور الوعرة طوال الوقت.. حتى أن ثيابهم كانت تتمزق مع كثرة الاستخدام وقسوة العمل.. لكنهم استمروا مجبرين في عملهم وهم شبه عراة في مشهد رهيب لا يوصف!!.. وقد لقي الكثيرون منهم حتفهم من مشقة العمل وعدم حصولهم على أوقات كافية للراحة.

ولم يكتف (دراكيولا) بقتل الناس بالخوزقة.. فقد كانت هناك وسائل أخرى استخدمها للإعدام.. كغلي الناس أحياء.. أو سلخ جلودهم وهم أحياء أيضا.. وحتى حينما فقد السلطة في فترة من فترات حياته والتي عاش فيها مختفيا عن الأنظار.. كان يخوزق الطيور والفئران كإحدى وسائل التسلية لديه!!.

لقد وضع (دراكيولا) قوانين صارمة جدا كان هدفه الرئيسي منها حفظ الأمن في جميع أرجاء

(والاشيا).. وكان عقاب من ينتهك هذه القوانين -بالطبع-الخوزقة.. فالتاجر الذي يغش الزبائن.. واللصوص.. وحتى المرأة التي تخون زوجها -والعكس صحيح-مصيرهم جميعا الخوزقة.. بل أنه خوزق امرأة ذات مرة لأن قميص زوجها لم يكن مهندما.. كما أنه لم يكن يمانع بخوزقة الأطفال أيضا إذا أخطأوا.. فهناك حوادث تشير إلى ذلك بالفعل.. ليقوم بعدها بعرض جثث ضحاياه في الأماكن العامة حتى يراها الناس وتكون عبرة لهم كي يلتزموا بالقوانين.. لذا فقد كانت نسبة الجرائم في عهده معدومة تقريبا.

ولكي يثبت (دراكيولا) قوة القانون في (والاشيا).. أمر بوضع سبيل ماء في أحد الأماكن العامة مع كوب مصنوع من الذهب كي يشرب منه الناس.. مع عدم السماح لأحد بأخذه.. وأمر بوضع الكوب دون حراسة.. ولشدة خوف الناس.. لم يجرؤ أحد على سرقة الكوب!!.

وتشير كتب التاريخ إلى أن (دراكيولا) قد قتل خلال فترة حكمه بين 40–100 ألف شخص.. حتى أن الأتراك الذين كانوا في حالة حرب معه فشلوا في هزيمته في إحدى المعارك بسبب الهلع الذي دب في قلوب الجيش التركي من ممارساته الوحشية.. فعندما أعد السلطان التركي (محمد الثاني) جيشا جرارا يفوق جيش (دراكيولا) قوة وعتادا لغزو (والاشيا).. كان (دراكيولا) قد أدرك أن المعركة خاسرة ولا أمل له بالنصر.. لذا قام بحرق القرى الموجودة على حدود (والاشيا) وسمم كل الآبار كي لا يجد الجيش التركي الماء أو الطعام عند وصوله لحدود مملكته.. وبعد هذا تراجع (دراكيولا) لمدينة (ترجوفيست) (Târgoviște) وهي عاصمة (والاشيا) آنذاك.

والواقع أنه لم يكن يحتاج لكل هذا.. فعندما وصل الجيش التركي إلى حدود (والاشيا).. شاهد أفراده منظرا رهيبا في الغابة المحيطة بالمنطقة.. منظرا مخلّدا في ذاكرة التاريخ!!.. فقد كان هناك آلاف المساجين والأسرى الأتراك الذين قبض عليهم (دراكيولا) في حربه الطويلة معهم.. وكانوا جميعهم مخوزقين!!.. فرفض الجنود الأتراك الاستمرار في التقدم من هول ما رأوا رغم أن جيشهم كان الأقوى.. وبالفعل تراجعوا عائدين إلى ديارهم.. فانتصر (دراكيولا) في هذه المعركة قبل أن تبدأ!!.

والواقع أن (دراكيولا) -وبعكس ما قد يتصور الكثيرون-يعتبر حاليا بطلا قوميا في (رومانيا).. وهو جزء هام من تراثها لأسباب عديدة.. فقد حارب أعداء بلده بضراوة.. ووقف سدا منيعا ضد تأثيراتهم على حضارة وثقافة بلده.. بل وقام بتوحيد جميع مقاطعات (والاشيا) تحت رايته.

واختلف المؤرخون حول الوسيلة التي مات بها (دراكيولا).. إلا أن المرجح أنه لقي مصرعه عندما كان يشارك جنوده القتال في إحدى المعارك ضد الأتراك.. بينما تذكر رواية أخرى أنه قتل على يد جنوده أنفسهم أثناء الحرب.. وتذكر كتب التاريخ أن جثته دفنت في مكان مجهول في جزيرة (سناجوف) (Snagov).

وما ذكرناه هو بعض اللقطات المهمة من سيرة (فلاد الوالاشي) أو (دراكيولا).. والتي تحوي من قصص القتل والتعذيب ما يكفي لملء مجلد كامل.. لكن يجب أن نذكر أيضا -ومن باب الإنصاف-أن المصادر التاريخية غير دقيقة.. فهناك بعض الأحداث التي نقلها لنا أعداء (دراكيولا) نفسه.. وربما بالغوا بوصف جرائمه.

ولا ننسى في النهاية أن نذكر أيضا أن الكاتب الكبير (برام ستوكر) (Bram Stoker) استوحى شخصية مصاص الدماء الشهير من (دراكيولا) نفسه.. ومنح روايته الشهيرة الاسم ذاته عام 1897.

رحلة إلى أعماق الكون

كم يبلغ حجم الكون؟ !!.. هذا السؤال -على الأرجح- من أقدم الأسئلة التي طرحها الإنسان في التاريخ.. وهو ما يزال مطروحا حتى يومنا هذا دون إجابة مؤكدة!!.. فمن منا لم يتطلع يوما إلى السماء بانبهار.. متسائلا إن كانت هناك نهاية لهذا الفراغ الكوني الهائل الذي نراه؟!.

ولكي نجيب على السؤال الذي بدأنا به موضوعنا.. نحتاج أولا أن نؤكد على أن الكون هائل الحجم بالفعل!!!.. ولا تدع تلك العبارة تمر عليك مرور الكرام ظنا منك أنها بديهية.. فحجم الكون يفوق كل ما يمكنك تخيله.. ولو ظننت أنك تستطيع أن تتخيل حجم الكون فهذا يعني أنك لم تستوعب حجمه حتى الآن!!.. عليك فقط أن تدرك أولا أن المساحات الشاسعة في الفضاء لا تقاس بالأميال أو الكيلومترات.. وإلا سنجد أرقاما خيالية تتكون من مليارات الأصفار سنعجز حتى عن قراءتها!!!.. ولا توجد أي مبالغة في هذا!!.

لذا.. ومنذ تطور علم الفلك.. ظهر ذلك المصطلح الجديد.. مصطلح (السنة الضوئية) !!.. وهذا المصطلح يطلق على المسافة التي يقطعها الضوء لو انطلق في الفضاء لمدة سنة كاملة.. علما بأن سرعة الضوء في الثانية الواحدة فقط تساوي حوالي 300000 كيلو متر.. أي أننا لو تمكنا يوما من صنع طائرة تسير بسرعة الضوء.. فإننا سنتمكن من الدوران حول كوكب الأرض أكثر من 7 مرات في الثانية الواحدة فحسب!!!!.

وبحسبة بسيطة.. نجد أن المسافة التي يقطعها الضوء في السنة الواحدة حوالي 25 مليارا و862 مليونا و801 ألفا و818كم!!!.. ترى.. هل أزعجك الرقم وبدا لك ضخما وخياليا؟ ؟!.. استعد للمفاجأة إذا.. فهذه المسافة الهائلة لا تساوي سوى وحدة فلكية واحدة فقط في قياس المسافات الكونية!!.

فلو أن أقرب النجوم إلى كوكب الأرض يبعد عنا بمسافة وحدة فلكية واحدة (أي سنة ضوئية واحدة).. سيعني هذا أن وصولنا إليه يحتاج إلى سفينة فضاء يجب أن تنطلق بسرعة الضوء لمدة سنة كاملة دون أن تتوقف أو تخفض سرعتها للحظة واحدة!!.. وهذا الاحتمال من الناحية العملية -وليست العلمية- مستحيلا بكل المقاييس.. في الوقت الحالي على الأقل!!.

والآن.. بعد هذه المقدمة.. دعونا نأخذ رحلة وهمية من كوكب الأرض عبر مركبة تطير بسرعة الضوء لننطلق إلى أعماق الكون السرمدي.. ولنرى كم من الوقت سنستغرقه في رحلتنا هذه!!!.. وإلى أي مدى سنصل كما يرجح علماء الفلك!!!.

لن نتحدث هنا عن وسائل نختصر بها المسافات في الكون.. مثل الثقوب السوداء أو الثقوب الدودية.. بل سنقطع المسافات كلها بسفينتنا الفضائية دون أي اختصار!!.. ماذا؟!.. تسألون ما هي هذه الثقوب السوداء التي نتحدث عنها؟!.. هذا ليس موضوعنا هنا لكني سأجيب على كل حال.. الثقب الأسود هو مصطلح حديث نسبيا استخدمه لأول مرة الفلكي الأمريكي (جون ويلر) (John A. Wheeler) عام 1969.. وهذا المصطلح يطلق على نجم يزداد حجم كتلته حتى يصبح أثقل من الشمس بثلاث مرات تقريبا.. وتكون جاذبيته في هذه الحالة هائلة إلى درجة أن قلب النجم يتهاوى تدريجيا كالدوامة التي تلتهم كل شيء من حولها.. حتى نفسها!!.

عندها يُدمّر النجم كليا وينعدم وجوده!!.. ليصبح مجرد نقطة هندسية شديدة السواد ذات

كثافة عالية جدا وجاذبية هائلة قادرة على امتصاص الضوء نفسه.. ولهذا سمي ب (الثقب الأسود).. وتبلغ جاذبية الثقب الأسود حوالي (1600 مليون مليار) ضعف جاذبية الأرض!!!.. ولا يوجد أي خطأ مطبعي في هذا الرقم.. أما إلى أين يذهب كل ما تبتلعه الثقوب السوداء فلا أحد يعلم بصورة مؤكدة حتى الآن.

أما الثقوب الدودية فهي بمثابة ممر أو طريق مختصر بين مكانين متباعدين في الكون.. وهناك نظريات كثيرة حول الثقوب السوداء والثقوب الدودية لكنها ليست موضوعنا هنا.

دعونا نعود للموضوع الرئيسي وننطلق من مركبتنا الفضائية الوهمية مغادرين كوكب الأرض بسرعة الضوء متجهين إلى الفضاء في رحلة تاريخية عبر الكون.. علما بأن رحلتنا ستبدأ في الأول من يناير من العام الجديد.. و.. ها قد انطلقت المركبة بسرعة الضوء.. بالطبع لن نتحدث عن الوصول للقمر.. فالقمر هو أقرب الأجرام السماوية إلى الأرض.. والوصول إليه مهمة تافهة جدا عندما نسير بهذه السرعة المذهلة!!.. إذ سنصل إلى القمر بعد أقل من ثانيتين فحسب.. وتحديدا خلال 1.28 ثانية فقط بعد انطلاقنا من الأرض.. أما الشمس فسنصل إليها في غضون 8 دقائق على اعتبار أن مركبتنا الفضائية قادرة على تحمل درجة حرارة سطح الشمس التي تتجاوز 6000 درجة مئوية.

المهم الآن.. وبعيدا عن الشمس والقمر.. ها نحن بعد بداية رحلتنا بدقائق قليلة نمر بمدار كوكب عطارد.. ثم مدار كوكب الزهرة.. والمريخ.. ثم كوكب المشتري الضخم الذي يعتبر كوكبا غازيا كونه يتكون من غازات عديدة.. ثم زحل.. وأورانوس.. ويليه نبتون.. لنخرج أخيرا من حدود مجموعتنا الشمسية.. وذلك بعد 5 ساعات ونصف تقريبا فقط من انطلاقنا بسرعة الضوء من كوكب الأرض!!!.

لقد قطعنا مسافة قدرها 3.5 بليون ميل حتى الآن لو أردنا حساب المسافة بمقاييسنا الأرضية المعتادة!!!.. ونحن ما زلنا في الأول من يناير.. وما زلنا نسافر بشكل عمودي في مجرتنا (درب التبانة) منطلقين من كوكب الأرض.. حيث خرجنا للتو من مجموعتنا الشمسية.. لنبتعد عنها في لحظات قليلة حتى بتنا نعجز عن مشاهدتها بالعين المجردة.

الفضاء ما زال شاسعا.. مساحات هائلة من الفضاء الخالي الذي لا نرى فيه سوى كم هائل من النجوم البعيدة جدا.. تمر سنة كاملة ونحن نسير بسرعة الضوء دون توقف ودون أن نصل إلى شيء.. تمر سنتان.. وثلاث سنوات.. ثم أربع سنوات.. وأخيرا.. في التاسع عشر من أبريل من العام الخامس منذ سفرنا.. نصل إلى أقرب نجم لمجموعتنا الشمسية.. وهو (Alpha Centauri A).. إنه أقرب نجم إلى مجموعتنا الشمسية بالفعل!!!.. وقد وصلنا إليه بعد أكثر من 4 سنوات منذ رحيلنا من كوكب الأرض بسرعة الضوء كما علمتم.

لقد قطعنا الآن مسافة 25 تريليون ميل حسب المقاييس الأرضية.. و ما زلنا أيضا في بداية الرحلة!!.. تمر الأيام والسنوات.. لنجد أنفسنا بمسافة تبعد حوالي 10 سنوات ضوئية عن الشمس.. وهي مسافة كافية كي نرى النجوم القريبة نسبيا من مجموعتنا الشمسية والتي ستبدو لنا كمجموعة من الأجسام القريبة جدا ببعضها.. كما نرى أيضا سحب متناثرة هنا وهناك من جسيمات الغبار والغازات في الفضاء والتي يطلق على كل منها اسم (غمامة سديمية).

تمر سنوات وقرون طويلة دون أن نصل إلى شيء –على افتراض أننا سنعيش كل هذه المدة- ثم بعد 1000 سنة ضوئية من السفر في سفينتنا الفضائية بدأنا نرى أخيرا بالعين المجردة جزءا من

ملامح مجرتنا (درب التبانة).. وكأنها إعصار حلزوني هائل الحجم.. ولكن.. سنحتاج إلى مائة ألف سنة ضوئية أخرى حتى نستطيع أن نرى مجرتنا الحلزونية هذه كاملة لأول مرة منذ رحيلنا عن كوكب الأرض!!!.. نعم.. مائة ألف سنة ضوئية!!!.. فترة زمنية هائلة دون شك.

مهلا.. نسينا أن نذكر عدد النجوم في مجرتنا (درب التبانة).. بصراحة لا نعرف كيف نقرأ الرقم!!!.. ولكن.. تستطيع كتابة الرقم 10 ثم تضيف إليه 22 صفرا!!!.. لاحظ الرقم جيدا.. فالمجرة الواحدة تحوي هذا العدد المذهل من النجوم بالفعل والذي يفوق كل ما يتخيله عقلك!!!.. ولا ننسى أن نذكر أن معظم مجرات الكون تحوي عددا من النجوم قريبا جدا من هذا الرقم أيضا!!!.. ونحن لن نتحدث هنا عن البحث عن حياة على كواكب أخرى في مجموعات شمسية شبيهة بمجموعتنا الشمسية.. فمحاولة استكشاف وجود حياة على كواكب أخرى سيتطلب رحلة أخرى من السفر بسرعة الضوء ولفترة قياسية من الزمن تفوق كل ما يمكننا تخيله.

أما بخصوص رحلتنا هذه.. فبعد 5 ملايين سنة من السفر في الفضاء الخارجي بسرعة الضوء.. نعم.. 5 ملايين سنة بالتمام والكمال!!!.. وعلى اعتبار أننا ما زلنا أحياء أيضا.. ستبدو لنا مجرتنا (درب التبانة) مجرد نقطة صغيرة بين آلاف المجرات الأخرى!!.. تماما عزيزي القاريء.. فهذه النقاط الصغيرة هائلة العدد التي تراها الآن ليست نجوما كالتي تراها في السماء أثناء وجودك على كوكب الأرض.. بل هي في الواقع مجرات بأكملها!!.. إنها تبدو لك كنقاط صغيرة نعم.. لكنها في الواقع مليارات المجرات المتناثرة هنا وهناك في هذا الكون الفسيح.. وكل مجرة منها تحوي مليارات النجوم كما علمنا.

وللعلم فقط فإن مجرتنا (درب التبانة) ستبدو جزءا صغيرا من 30 مجرة أخرى عنقودية الشكل نستطيع أن نراها كاملة بالعين المجردة.. ويطلق على تلك المجموعة العنقودية من المجرات اسم (Local Group) أي (المجموعة المحلية).

نستمر في رحلتنا الخيالية في أعماق الكون.. وتمر هذه المرة بليون سنة ضوئية!!!.. بليون سنة نسير فيها بسرعة الضوء دون توقف ولو للحظة واحدة على اعتبار أننا سنعيش هذه المدة أيضا!!!!.. وتمر بليون سنة ضوئية ثانية.. وثالثة.. بل وخامسة.. سنمر من خلالها على مجموعات من المجرات المتناثرة هنا وهناك.. وكل منها تبدو لنا وكأنها شكل هندسي بالغ الروعة.. و.. أخيرا.. بعد 10 بلايين سنة ضوئية بالتمام والكمال!!!.. نبدأ نبطئ قليلا ونقلل من سرعة مركبتنا الفضائية.. إلى أن نوقف المركبة بالكامل هذه المرة.. لنأخذ نظرة إلى الشكل الافتراضي الذي قد يبدو عليه الكون.

عدد لا يحصى من بلايين المجرات المنتشرة هنا وهناك تمثل أشكالا هندسية جميلة وتفصل بينها مساحات شاسعة لا تصدق من الفضاء الخالي.. نجلس ونتأمل مساحات هائلة تفوق خيال وفهم وإدراك كل إنسان.. و.. ماذا يوجد بعد كل هذا؟ !!.. لا نعرف.. قد تكون كل المسافات التي قطعناها هي البداية فحسب.. نعم.. فهذا ما يرجحه بعض العلماء بالفعل!!.

والآن.. هل أجبنا على السؤال الذي بدأنا به موضوعنا؟ !!.. بكل تأكيد لا.. فلا أحد يملك إجابة دقيقة على هذا السؤال.. وربما نعجز فعليا عن معرفة حجم الكون مثلما ذكرنا في البداية.. لكنا أردنا أن نبين لك ضخامته.. وهول اتساعه.. كما نستطيع أن نتعلم شيئا رمزيا من رحلتنا هذه!!.. فعلى الأقل.. عندما تمر حياتك ببعض المشاكل والظروف الصعبة.. تذكر أنك تعيش في كوكب أزرق صغير لا يساوي شيئا أمام عظمة هذا الكون وروعته.. فعندها قد تبدو لك مشاكلك بسيطة

وقابلة للحل.

عالم التشاؤم

البومة.. الغراب.. رقم 13.. إلخ.. كلها أمور يتشاءم منها الكثيرون منذ أزمان قديمة جدا ويعتبرونها من علامات النحس.. ولو سألنا المتشائم عن سبب تشاؤمه من تلك الأشياء.. فعادة لن يعرف الإجابة.. لأنها أمور يتوارثها الناس على مر الأجيال دون معرفة الأسباب الحقيقية وراءها.. وغالبا ما يكون التشاؤم بسبب عادات ومعتقدات مندثرة قد يكون لها ما يبررها في الماضي.. لأنها كانت تتفق مع عقلية الناس في تلك الأزمان التي طغى عليها الجهل والاعتقاد بالخرافات.

وهناك دراسات عديدة أجريت لمعرفة جذور الأشياء التي تبعث على التشاؤم عند الناس.. حيث اتضح من خلالها الكثير.. فعلى سبيل المثال.. يتشاءم معظم الغربيين من الرقم 13 دون أن يعرف غالبيتهم سبب ذلك.. بل أن الكثيرين في (الولايات المتحدة الأمريكية) تخوفوا من فشل المكوك الفضائي (أبوللو 13) في رحلته إلى القمر.. فقط لأنه يحمل ذلك الرقم.. والطريف أن (أبوللو 13) تعرضت لمشاكل كثيرة أثناء رحلتها بالفعل.. ففشلت في مهمتها!!.. الأمر الذي رسخ في المعتقدات الغربية التشاؤم من هذا الرقم الذي يرى الباحثون أن سبب تشاؤم الغربيين منه ارتباطه ب(يهوذا) الخائن الذي خان المسيح (عليه السلام) في قصة العشاء الأخير.. إذ كان ترتيبه الثالث عشر من بين الأشخاص المدعوين.

وهناك أيضا التشاؤم من المرور من تحت سلم خشبي.. وقد اتضح أن سببه يرجع إلى القرون الوسطى عندما كانت معظم أحكام الإعدام في أوروبا تنفذ باستخدام سلالم خشبية مستندة إلى الحائط ويتدلى من كل منها حبل يشنق به المجرم.. فارتبط وضع السلم بهذه الطريقة بأذهان الناس بفكرة الإعدام.. حتى أن الكثيرين في أوروبا ما زالوا يمتنعون عن المرور من تحت السلم ويتشاءمون من ذلك دون أن يدركوا السبب.

ويعتبر الغراب أيضا نذير شؤم للحضارات الغربية والشرقية لأنه -وكما تذكر القصص الدينية- ارتبط منذ بدء الخليقة بالموت.. فحين قتل (قابيل) أخاه (هابيل).. لم يعرف كيف يتخلص من جثته.. فشاهد غرابا يحفر في الأرض ليدفن غرابا آخر ميتا.. ومن هنا نبتت في رأس (قابيل) فكرة دفن الميت.. ومن هنا أيضا ارتبط الغراب بالموت وتشاءم منه الناس.. وهناك أيضا بعض الروايات التي تشير إلى أن نبي الله (نوح) عليه السلام قد أرسل غرابا ليعرف له أمر الطوفان ومنسوب الماء.. ولكن الغراب انشغل بجيفة طافية ولم يرجع.. فأرسل (نوح) عليه السلام حمامة.. فأتته بورقة خضراء عرف منها أن الطوفان انتهى وأن منسوب المياه انخفض.. وهذا من أحد الأسباب التي تفاءل فيها الناس منذ القدم بالحمامة واعتبروها رمزا للسلام.

أما البومة فهي أشهر نذير شؤم على الاطلاق.. ربما لأنها تعيش نهارا في المباني المتهالكة المهجورة ولا ترى إلا ليلا.. كما أن هناك اعتقادا بدائيا بأن روح الإنسان الميت تخرج على هيئة طائر البومة لتصرخ حزنا على جسده المدفون في القبر.

وقد كان العرب في الجاهلية يؤمنون كثيرا بالتشاؤم.. ويطلقون عليه لفظة (التطيّر).. وهي كلمة مشتقة من عادة زجر الطير.. حيث كانوا يزجرون الطير أو يرمونه بحجر.. فإن طار يمينا تفاءلوا بما سيقومون به من عمل.. وإن طار يسارا تشاءموا وأعرضوا عن القيام بعملهم.. أما التطير من الوجوه فهو ما يزال قائما عند الإنسان الشرقي حتى الآن.. إذ دائما ما نسمع من يقول بأنه لاقى سوء الحظ في يومه لأنه رأى شخصا ما.

وهناك رواية طريفة حول هذا الأمر بالذات.. إذ يحكى أن أحد ملوك الفرس خرج إلى الصيد.. فكان أول من شاهد في رحلته رجلا أعور.. ليتشاءم الملك من رؤيته لذلك الأعور ويعتبره فألا سيئا.. فضربه وأمر بحبسه.. ثم ذهب للصيد وهو يحمل شعورا بالتشاؤم بأنه لن يصطاد شيئا.. ولكنه تفاجأ حين اصطاد صيدا كثيرا لم يتوقعه إطلاقا.. فشعر بالندم الشديد لما فعله بذلك الأعور.. وعندما عاد من رحلة الصيد.. أمر باطلاق سراح الأعور وأغدق عليه المال الوفير تعويضا له عما فعله به.. ولكن الأعور رفض المال.. وقال للملك: ((إنك لقيتني فضربتني وحبستني.. ولقيتك فاصطدت صيدا وفيرا.. فمن منا كان شؤما على الآخر؟!)).

وهناك أمور كثيرة أخرى تبعث على التشاؤم لكنها مجهولة الأسباب.. كالتشاؤم من تحريك المقص سريعا في الهواء دون أن يقص شيئا.. أو لمس الخشب حتى لا ينطوي الكلام على الحسد.. وهناك أيضا اختلاج العين.. فإذا اختلجت -أي رفّت-العين اليسرى كان هذا نذيرا لسوء الحظ.. والعكس صحيح.. والطنين في الأذن اليسرى يعني سماع خبر سيئ.. والعكس أيضا صحيح.

ولا ننسى أن هناك بعض الأمور التي تبعث على التشاؤم لدى البعض.. في حين يتفاءل بها آخرون.. ولا يوجد لها أي مقاييس.. بل تعتمد على معتقدات الإنسان وتجاربه في الحياة.. كالتشاؤم من بعض الألوان مثلا.. أو من الذهاب لمكان محدد.

تبقى في النهاية مسألة التشاؤم أو التفاؤل جزءا لا يمكن إهماله من التراث الإنساني.. ومن العسير أن يتخلص منه الإنسان كلية.. مهما بدا له الأمر غير عقلاني ولا يخضع لمنطق.

ذو القناع الحديدي

ربما هو من أشهر الألغاز التاريخية.. لغز الرجل ذي القناع الحديدي.. أكثر سجناء التاريخ غموضا.. والذي عاش ومات دون أن يعرف أحد هويته الحقيقية.. ففي عام 1669.. وأثناء فترة حكم الملك (لويس الرابع عشر).. وصلت عربة ملكية فاخرة إلى سجن (الباستيل) الفرنسي الرهيب.. وكان على متن العربة عدد من الحراس الذين يحيطون برجل يرتدي ثيابا فاخرة ويخفي وجهه خلف قناع حديدي لا يترك له سوى فتحتين لعينيه وأخرى لفمه.. مع قفل كبير وضع على القناع لمنع فتحه.. وقد استقبل مدير السجن ذلك السجين الغامض باحترام.. وطلب منه وعدا قاطعا ألا يخبر أحدا على الاطلاق بحقيقته أو أن ينزع قناعه.. فوعده ذو القناع الحديدي بذلك بنبرة صوت قوية وكبرياء شديد كما لاحظ الحراس.

وبعد ذلك تم نقل السجين إلى زنزانة خاصة مؤثثة على نحو جيد.. لكنها منعزلة تماما.. بل وبدا أنه قد تم إعدادها خصيصا له.. فحتى تصل إليها.. عليك أن تجتاز أكثر من غرفة وتمر من أكثر من باب.. وكأنهم يريدون التأكد من عزلة السجين عن العالم بأكمله.. وقد كانت هناك تعليمات صارمة لمن يشرف على خدمة السجين أن يلبي كل احتياجاته الضرورية دون أن يجري معه أي حديث.. وإلا سيتم قتله مباشرة.

وتذكر المصادر التاريخية أن ذا القناع الحديدي كان سجينا مثاليا يقضي معظم وقته في القراءة ومراقبة الطيور.. إلا أن هناك بعض الأقاويل التي تشير إلى أنه كان ينهار باكيا وينتحب بين الحين والآخر.. حيث استمرت حياته بهذه الصورة لسنوات طويلة دون أي تغيير.. إلى أن توفي بهدوء في سجنه بعد حوالي 34 سنة قضاها هناك منعزلا تماما عن العالم.. علما بأن من أشرف على خدمته طوال فترة السجن رجل واحد فقط كان يتلقى التحذيرات باستمرار ألا يتحدث أبدا مع السجين!!!.

وعندما تم نقل جثمان ذي القناع الحديدي من زنزانته إلى قبره.. حضرت عربة ملكية خاصة حملته إلى قبر فاخر صنع من الرخام.. وأحيط القبر بعد ذلك بحراسة مشددة لمدة شهر كامل حتى يضمن الملك (لويس الرابع عشر) بقاء هذا اللغز في طي الكتمان.. وقد دفن تحت اسم مستعار.. وهو (مارشيولي) (Marchioly).

وبالطبع أثار هذا اللغز خيال المؤرخين إلى أبعد الحدود.. وخرج أحدهم بفكرة عجيبة ومنطقية للغاية كما قد تبدو للكثيرين استغلت في عمل فيلم شهير قام ببطولته النجم الأمريكي (ليوناردو ديكابريو) عام 1998.. ويحمل عنوان: (الرجل ذو القناع الحديدي).. حيث ذكر أن السجين الغامض هذا ليس سوى شقيق الملك (لويس الرابع عشر) التوأم.. وأن الملك أودعه في ذلك السجن طيلة عمره كي لا ينازعه على العرش.. وأنه أخفى وجهه بهذا القناع الحديدي كي لا ينتبه أحد إلى الشبه الواضح بين التوأمين.

وعلى الرغم من طرافة هذه النظرية ومنطقيتها إلى حد ما.. إلا أنها لم تلق استحسان المؤرخين الذين وضعوا بدورهم تفسيرات أخرى لم يتم حسم أي منها.. لتظل القصة إلى يومنا هذا مجرد حدث غامض.. و.. لغز.. لم يحسمه التاريخ.

مخطوطة غير عادية

إنها مخطوطة غريبة جدا بالفعل.. وتعتبر من الألغاز التاريخية التي لم يتوصل الإنسان إلى تفسير لها حتى الآن.. هذه المخطوطة عبارة عن كتاب قديم جدا.. كتب على الأرجح في الفترة 140(-1438 ميلادية حسب تقدير الخبراء.. ويتكون من حوالي 240 صفحة مكتوبة بخط اليد على رقع من الجلد كما كان الحال في ذلك الزمن قبل اختراع المطبعة.

الغريب في الكتاب هو اللغة التي كتب بها.. فهي لغة مجهولة ولا تنتمي لأي حضارة.. هذا بالإضافة إلى الرسومات المتنوعة لمخلوقات بشرية وما يشبه النباتات والبذور مع أشكال هندسية أخرى غير مفهومة تملأ صفحات الكتاب.. وكأنه موسوعة متكاملة جاءت لنا من عالم آخر مجهول!!!.. علما بأن بعض الصفحات مطوية وممكن فتحها لتشكّل خريطة كبيرة لرموز ورسومات أكثر غرابة.

لقد حمل الكتاب اسم (مخطوطة فوينيتش) (Voynich Manuscript) نسبة إلى (ويلفريد فوينيتش).. الشخص الذي اكتشف وجود الكتاب عام 1912 بين مجموعة من الكتب كان قد اشتراها من قصر (موندرايوني) (Mondragone) الواقع في مدينة (لاتسيو) الإيطالية والذي تم بناؤه عام 1573.. حيث كان القصر آنذاك مملوكا لأحد النبلاء ثم انتقل لأكثر من شخص على مدى السنوات.. إلى أن تحول في النهاية إلى مدرسة دينية في القرن التاسع عشر ولغاية عام 19.. وقد كان بعض العاملين في المدرسة يبيعون الآثار الموجودة فيها بالسر للحصول على المال.. فاشترى (ويلفريد فوينتش) منهم مجموعة من الكتب كان هذا الكتاب من ضمنها.

لقد تمت دراسة محتوى الكتاب لأكثر من مائة عام من قبل العلماء وخبراء في اللغات والمخطوطات القديمة.. بل وتم الاستعانة بمختصين في فك الشفرات السرية من الحرب العالمية الأولى والثانية!!!.. لكن كل هذا لم يأت بأي نتيجة.. ولم يتم فهم أي كلمة من محتوى الكتاب سوى بعض الكلمات اللاتينية القليلة الموجودة فيه والتي عرف من خلالها الخبراء أن لغة الكتاب من اليسار إلى اليمين على الأرجح.. نعم.. هذا كل ما توصلوا إليه!!.. وستجد -عزيزي القارئ- صورا كثيرة للكتاب لو بحثت في شبكة المعلومات.. فهو شهير جدا في عالم المخطوطات القديمة وعلم الشفرات السرية (cryptography).. وهو موجود حاليا في مكتبة جامعة (Yale) الأمريكية.. لكن مصدره.. وكيفية وصوله لذلك القصر.. واللغة التي كتب بها.. والهدف من محتواه.. وهوية مؤلفه.. كلها أسئلة لم يتم التوصل إلى إجاباتها أبدا!!!.

أشهر مجهول

(جاك السفاح) أو (جاك الممزق) (Jack The Ripper).. اسم شهير جدا في عالم الإجرام.. وربما سمعت -عزيزي القارئ- بهذا السفاح أو قرأت اسمه في مقال أو رواية.. خاصة وقد تم التطرق له في العديد من الأعمال السينمائية والأدبية بالفعل.. ليس بسبب وحشيته بارتكاب الجرائم فحسب.. فهناك من كانوا أكثر وحشية منه.. لكن لأنه أشهر سفاحي العالم غموضا.. إذ لم يتم القبض عليه أو كشف هويته أبدا!!.

لقد كان (جاك) قاتلا متسلسلا متخصصا بقتل النساء دون سبب مفهوم.. وارتكب الكثير من الجرائم في محافظة (وايتشابل) (Whitechapel) في (لندن) أواخر القرن التاسع عشر.. تحديدا في الفترة 1888-1891 ميلادية.. إذ كان يمزق جثث ضحاياه ويقوم بتشويههن بالكامل قبل سرقة أعضائهن الداخلية كالكلى والقلب!!!.. مما أثار الأقاويل في البداية أن يكون هذا السفاح عبارة عن طبيب مثلا أو شخص يقوم بتجارب معينة.. والبعض قال أنه ساحر.

والغريب أن هناك عشرات الرسائل المكتوبة بخط اليد كانت تصل للصحف باستمرار يدعي صاحبها أنه القاتل.. وكانت مذيلة باسم (جاك) هذا.. بل وأرفق مع إحدى الرسائل جزءا من كلية آدمي.. فأطلقت الصحافة على تلك الرسالة لقب: (رسالة من الجحيم)!!!.. وأطلقت بسببها على القاتل لقب (جاك الممزق).. نسبة لتمزيق وتشويه جسد ضحاياه.

ولا يمكن لأحد أن يتخيل كيف كانت (لندن) في تلك الفترة.. إذ خيمت عليها أجواء الخوف وعاش أهلها برعب هائل بسبب تلك الجرائم البشعة.. مما جعل رجال الشرطة يملؤون شوارع المدينة آنذاك.. خاصة وأن القاتل كان يرتكب جرائمه في أماكن مختلفة.. فبعضها تمت في الأحياء الداخلية للمدينة.. وأخرى في شقق الضحايا نفسها.. لذا فقد وصل الأمر برجال الشرطة إلى طرق أبواب جميع بيوت محافظة (وايتشابل) للتحقيق مع الأهالي.. وتفتيش عدد كبير من تلك البيوت وأخذ ما يلزم من أدلة أو قرائن قد تفيد التحقيقات الجنائية.. حتى وصل عدد الأشخاص الذين خضعوا للتحقيقات إلى حوالي 2000 شخص.. بل وقام رجال الشرطة بالقبض على 300 مشتبه بهم.. والتحقيق مع أطباء وجراحين -وحتى جزارين- بسبب الأعضاء البشرية التي كان يأخذها القاتل من جثث ضحاياه.. كل هذا دون فائدة تذكر.. خاصة بعد أن تبين من فحص الجثث أن سرقة أعضاء الضحايا لم تتم بطريقة تخصصية.. أي لم تكن على يد جراح أو طبيب.. بل كانت عشوائية.. كما أثبتت التقارير الطبية عدم حدوث أي اغتصاب للضحايا إن كان هذا ما سيتبادر إلى أذهان البعض.

وقد قامت الحكومة البريطانية آنذاك برصد مبلغ كبير من المال كمكافأة لمن يقبض على القاتل أو يدلي بمعلومات عنه.. وخرج عدد كبير من المتطوعين في الشوارع لمساعدة رجال الشرطة في البحث عن القاتل الذي رجحت السلطات أنه على الأرجح أحد سكان المدينة بسبب تمركز الجرائم فيها.. بل وربما يكون موظفا أو عاملا.. لأن جرائم القتل كانت تحدث في عطل نهاية الأسبوع.. مما يوحي أن القاتل موظفا أو عاملا ويمارس جرائمه في العطل.. أو ربما ارتكب جرائمه لمنحنا هذا الانطباع؟!.. لا أحد يعلم.

وفي خطوة أخيرة يائسة.. قام رجال الشرطة بتوزيع صور من رسائل القاتل على الناس.. لعل وعسى يعرف أحدهم صاحب تلك الرسائل من خلال خط اليد مثلا.. لكن دون جدوى.. لتستمر

التحقيقات بضع سنوات قبل أن تتوقف تماما بعد أن توقف مسلسل الجرائم دون سبب واضح.. وتظل القضية مبهمة غير واضحة حتى يومنا هذا.. لتتحول إلى مجرد أسطورة يتناقلها الناس وتخيف بها الجدات أحفادهن في قصص ما قبل النوم.. كحال قصص الأشباح التي يتناقلها الناس في جميع المجتمعات.. الفارق أن قصص القتل هذه كانت حقيقية بالطبع.

ومنذ سنوات قليلة فحسب.. تم افتتاح متحف خاص عن تلك القضية بعد أن وضعت فيه الحكومة البريطانية كل ما لديها من وثائق ومقتنيات عن (جاك السفاح).. ليتوافد الزوار من كل أنحاء العالم إلى هذا المتحف ويرون ما تبقى من الرسائل وما تناقلته الصحف آنذاك.. لكن يبقى المجرم مجهولا.. وتظل القضية غامضة معلقة لم تغلق إلا بفعل الزمن.. فهل هناك مجرم اسمه (جاك السفاح) بالفعل؟!.. أم أن الجرائم كانت تتم بفعل عدة مجرمين وليس مجرما واحدا مثلا؟!.. ومن هو صاحب الرسائل التي وصلت لوسائل الإعلام آنذاك؟!.. ولماذا توقفت تلك الجرائم فجأة؟!.. لا أحد يعلم.

من ملفات الطب النفسي

جميعنا نحتاج أحيانا إلى شخص نتكلم معه بحرية تامة ونطلب منه النصح.. جميعنا نحتاج لمن نكشف له أدق أسرارنا.. الأسرار السوداء التي نركنها في الجانب المظلم من عقولنا لكي نبقى بشرا ونواصل حياتنا الطبيعية.. وبعضنا قد يشعر في رغبة قوية بالانفجار إذا لم يتحدث لأحد ويكشف عن هذه الأسرار!!.. لهذا نلجأ أحيانا إلى الطب النفسي ونقضي ساعة أو ساعتين في الجلسات العلاجية مع الأطباء النفسيين.

ومهمة الطبيب النفسي غالبا ما تكون بالغة الصعوبة.. فهو يتعامل مع المريض بدون أجهزة بطبيعة الحال.. لذا عليه أن يكون صبورا وهو يبحر في ذلك العالم الغريب.. عالم النفس البشرية!!.. فالنفس البشرية هي بحق أعقد آلة في الوجود.. إنها تفوق تعقيدا في حساسية تركيبها كل المفاعلات النووية والطائرات الحربية!!.. هذه النفس بحر حقيقي من الغموض لا تستطيع أن تصل إلى أعماقه السحيقة أبداً.

ومن خلال هذه الدراسة.. سنستعرض معا بعض الأمراض النفسية النادرة التي اكتشفها الخبراء.. إنها أمراض غريبة.. شديدة الندرة.. طريفة أحيانا!!.. وربما لا تصدّق في أغلب الأحيان.. لكنها حقيقية.. وهذا أهم ما في الأمر:

أعراض ستندال (Stendhal Syndrome)

(ستندال) هو الاسم الحركي ل (ماري هنري بيلي) (Marie-Henri Beyle) وهو كاتب فرنسي من القرن التاسع عشر.. وقد عرف بتحليله النفسي الدقيق جدا لشخصيات رواياته.. ويعتبر من أوائل من كتبوا في أدب (الواقعية) (Realism).. و(الواقعية) نوع من الفن والأدب يتعلق بوصف الحياة ومظاهرها بدقة شديدة دون إهمال لما هو قبيح أو مؤلم فيها.

ويتلخص هذا المرض النفسي بالصدمة من الجمال!!!.. نعم.. جميعنا نحب أن نشاهد الجمال ونستمتع به من خلال المناظر الطبيعية مثلا.. أو اللوحات والتحف الفنية.. ولكن.. لفئة قليلة جدا من الناس.. يسبب الجمال الساحر والمفرط آلاما شديدة نفسية وعقلية وجسدية!!!.. ف (ظاهرة ستندال) في واقع الأمر مرض نفسي يصيب من يرى كمية ضخمة من الفن الجميل في فترة زمنية قصيرة!!!.. وأعراض هذا المرض النفسي الغريب تتضمن الإصابة باضطرابات قوية وسريعة في ضربات القلب.. مع الشعور بالدوار.. والارتباك.. بل وحتى الهلوسة في بعض الأحيان!!.

وقد تم اكتشاف المرض قبل سنوات قليلة نسبيا.. بعد أن أصيب به بعض السواح الذين قاموا بزيارة المتاحف الفنية الشهيرة أو الأماكن الطبيعية الجميلة في أوروبا وغيرها.. حيث لوحظت عليهم تلك الأعراض دون أن يفهم الناس سببها في بادئ الأمر.. قبل أن يكشف الأطباء النفسيين المرض ويعلنوا عنه رسميا.

وقد حمل المرض اسم الأديب الفرنسي لأنه أول من وصفه في كتاباته حين شعر به شخصيا دون أن يفهم السبب آنذاك أثناء زيارته لمدينة (فلورنس) الإيطالية.

ظاهرة استكهولم (Stockholm Syndrome)

لا شك أن ملفات الشرطة في جميع أنحاء العالم تقريبا تزخر بقضايا أناس تم اختطافهم من قبل

مجرمين.. لكن الغريب في الأمر أن في حالات تصل نسبتها إلى 8% نجد الضحية تتعاطف بشكل غريب ومفاجئ مع المختطِف رغم قسوته التي تصل إلى حد التعذيب أحيانا.. بل وتصبح الضحية موالية للمختطِف دون سبب واضح!!!.. هذا المرض يطلق عليه اسم (أعراض استكهولم) نسبة إلى حادثة سرقة تمت في أحد بنوك (استوكهولم) -وهي عاصمة (السويد) كما نعلم-حيث تم أخذ رهائن أثناء عملية السرقة.. وحين تم القبض على العصابة.. أبدى بعض الرهائن تعاطفهم الشديد مع أفرادها.. بل ورفضوا حتى الشهادة ضدهم في المحكمة.. وجدير بالذكر أن أغلب المصابين بهذا المرض زوجات تعرضن للعنف على يد أزواجهن.. أو إنسان تعرض للقسوة في طفولته.

أعراض ليما (Lima Syndrome)

هي على النقيض من المرض المذكور أعلاه (أعراض استكهولم) !!.. ففي (أعراض ليما) نجد المختطِف يتعاطف كثيرا مع ضحيته!!!.. ويجد نفسه مرتبطا بها إلى حد كبير.. ونحن لا نتحدث عن ارتباط غرامي كون الضحية فتاة جميلة والمختطف رجل مثلا.. إنما هو تعاطف لا مبرر له في أغلب الأحيان.. وللعلم فقط فإن (ليما) هي عاصمة (جمهورية بيرو).. وقد حمل المرض هذا الاسم نسبة إلى حادثة اقتحام السفارة اليابانية في (جمهورية بيرو) عام 1996 من قبل مجموعة من الإرهابيين الذين أطلقوا سراح السفير وموظفي السفارة بعد أن تعاطفوا معهم دون سبب واضح.

أعراض الخوف من الرقم 13 (Triskaidekaphobia)

أحد أنواع الفوبيا كما هو واضح من المصطلح الانجليزي.. وهو مرض نفسي اكتشف حديثا رغم أنه قد يعود إلى جذور تاريخية أو عقائدية أحيانا في تراث الشعوب!!!.. وقد يصل الأمر بمن يعاني هذا الاضطراب النفسي ويرى الرقم 13 أمام عينيه إلى الإصابة بارتعاشات عنيفة وعرق غزير.. كل هذا بسبب رقم!!.. بينما نرى في دول شرق آسيا فوبيا من رقم آخر وهو الرقم 4.. ويطلق عليه اسم (تيترافوبيا) (Tetraphobia).. وأعراض الإصابة به شبيهة بالأعراض التي تصيب من يعانون فوبيا الرقم 13.

أعراض يد المخلوق الفضائي (Alien Hand Syndrome)

قد يظن البعض أن هذا الاضطراب النفسي الغريب يندرج تحت بند قصص الخيال العلمي!!.. لكنه في واقع الأمر مرض حقيقي تماما رغم غرابته.. ويتلخص في استقلالية يد الإنسان وتصرفها كما تشاء هي.. وليس كما يشاء عقله!!.. أي أن اليد تعمل وتتصرف خارج إرادة الإنسان وكأن لها عقلا مستقلا.. ولا يوجد أي خطأ في تلك العبارة رغم غرابتها.

إذ تقوم يد المريض بأمور معقدة قد لا يرغبها المريض نفسه.. كنزع ملابسه في أماكن عامة.. أو الضغط على أزرار ليس من المفترض أن يضغط عليها كأزرار الكهرباء مثلا.. علما بأن هذا المرض نفسي تماما وليس عضويا كما قد يظن البعض.

أعراض دايوجينز (Diogenes Syndrome)

أغلب المصابين بهذا الاضطراب النفسي من العجائز الذين يعيشون في عزلة عن المجتمع.. حيث يهمل المريض نظافته الشخصية بشدة وإلى حد مبالغ به!!!.. فتنبعث منه الروائح الكريهة بسبب عدم الاستحمام والتنظيف.. ويحيط حياته بأكملها بحاجز وهمي يبعده تماما عن الناس.. فيحتفظ بكميات ضخمة من مؤونته الخاصة في مكان سكنه كي يقلل من خروجه من محل سكنه

قدر المستطاع.. كما يصبح عنده هوس غريب في جمع أشياء بغيظة ومنفرة يرغب الإنسان الطبيعي عادة بالتخلص منها كالفضلات والقاذورات!!.. وقد تم التعرف على أول مصاب بهذا الاضطراب النفسي عام 1975.. وأطلق على المرض اسم (أعراض دايوجينز) نسبة إلى فيلسوف إغريقي كان يرى الفضيلة في الفقر الذي يعيشه.. وكان أيضا يرى الحياة بمنظار أسود إلى درجة أنه اشتهر بحمل سراج مضيء في وضح النهار ليلف به طرقات (أثينا) باحثا عن رجل شريف كما كان يدعي!!!.

6) وهم كابجراس (Capgras Delusion)

اضطراب عقلي نادر جدا يتزامن عادة مع المصابين بفصام الشخصية.. حيث يكون المريض على يقين تام أن أحد أفراد عائلته أو أصدقائه قد تم استبداله بواسطة محتال.. فيظن المريض أن زوجته -على سبيل المثال- مجرد امرأة محتالة انتحلت شخصية زوجته الحقيقية!!!.. وقد أطلق على المرض هذا الاسم عام 1923 نسبة إلى مكتشفه (جوزيف كابجراس) (Joseph Capgras).

ولعل أبرز الحالات المصابة بهذا المرض.. تلك المتعلقة بامرأة عجوز في الرابعة والسبعين من العمر.. حيث كانت مؤمنة بشكل قاطع أن زوجها ليس زوجها!!.. بل مجرد محتال انتحل شخصيته.. حتى أنها كانت ترفض أن تقضي ليلتها معه في نفس الغرفة.. بل وطلبت من ابنها تزويدها بمسدس لحماية نفسها من المحتال الذي ينتحل شخصية زوجها كما كانت تدعي!!!.. وقد قاومت رجال الشرطة بكل قوتها قبل أن يأخذوها عنوة إلى مستشفى الطب النفسي.

الولع بالمشاهير (Celebriphilia)

رغم أن هذا المرض النفسي شائع إلى حد ما هذه الأيام حيث قدمته السينما الأجنبية والعربية في أكثر من عمل.. لكن بما أنه مرض حديث نسبيا.. فقد فضلنا وضعه في القائمة.. وهو اضطراب نفسي يسبب رغبة ملحة وقوية عند المريض للارتباط العاطفي أو الجنسي بشخصية شهيرة.. كممثلة أو فنانة أو لاعب كرة.. إلخ.

أعراض منخاوزن (Munchausen Syndrome)

اضطراب نفسي غريب يعاني خلاله المريض من نقص شديد في الثقة بالنفس.. ونراه يفعل كل شيء وأي شيء ليحصل على انتباه وشفقة الناس!!!.. كالتظاهر بالإغماء مثلا.. أو ادعاء المرض.. أو حتى التظاهر بحدوث نوبة قلبية.. كل هذا من أجل الحصول على انتباه وشفقة المحيطين به من أصدقاء أو أقارب.

وقد أطلق على المرض هذا الاسم نسبة إلى البارون الألماني (منخاوزن) الذي توفي عام 1797.. حيث عرف عنه الكذب الدائم وحديثه عن تجارب غير معقولة يدعي أنه تعرض لها!!.. كادعائه بالسفر إلى القمر وركوب طلقات المدافع والعديد من القصص الأخرى التي لا يصدقها عقل.. حتى أُطلق عليه لقب (أشهر كذاب في التاريخ).

الحاكم بأمر الله الفاطمي

(الحاكم بأمر الله) هو ثالث الخلفاء الفاطميين ل(مصر).. وهو من الشخصيات التاريخية التي أثارت تساؤلات لا حصر لها.. إذ أن سيرته مليئة بالغرائب والعجائب.. وحتى موته -أو اختفائه- يعتبر لغزا عجز المؤرخون عن كشف لثامه.

وقد كانت شخصية (الحاكم بأمر الله) قوية جدا استمدها من الغموض الشديد الذي يحيط به نفسه.. مع أوامره التي كانت متناقضة إلى حد أثار دهشة الناس في تلك الفترة من الزمان ودهشة المؤرخين فيما بعد.. إذ يذكر لنا التاريخ أن (الحاكم بأمر الله) قد أصدر قانونا صارما ذات مرة ينص على معاقبة من يشتم صحابة الرسول (عليه الصلاة والسلام).. وبعد أيام قليلة من هذا القرار.. أمر بشتم الصحابة علنا في المساجد.. والأغرب من هذا ما فعله مع اليهود والمسيحيين عندما أصدر قوانين باضطهادهم ومعاملتهم كبشر من الدرجة الثانية.. إلا أنه وفي نفس الوقت كان يقربهم إليه ويحسن معاملتهم.. ثم إنه كان يأمر بهدم الكنائس ومعابد اليهود.. ليأتي بعدها بفترة وجيزة ويعيد بناء ما هدمه من أمواله الخاصة!!!.. بل وتذكر كتب التاريخ أنه أصدر قوانين مشددة بمنع شرب الخمر.. مع منع زراعة فاكهة العنب التي تستخدم لصناعة الخمور.. وفي نفس الوقت ساعد التجار على تهريب الخمور وبيعها سرا على الناس.

كما أعلن خلال فترة حكمه بأنه يكره الكلاب كثيرا وأمر بمطاردتها وقتلها.. في حين أنه كان يربي الكلاب في قصره ليطلقها ليلا إلى الشوارع!!!.. وربما من أشهر قوانينه الغريبة حظر التجول الذي فرضه على الناس مهددا من يخرقه بالقتل.. وكان حظر التجول يمتد من بعد صلاة العشاء لغاية أذان الفجر.. حتى أن مدينة (القاهرة) لم يكن يُشاهَد بها أحد أو يُسمَع بها أي صوت ليلا.. فكانت أشبه بالمقبرة أو بمدينة تسكنها الأشباح!!.

لقد ظنه البعض مجنونا.. وظنه البعض الآخر على اتصال بالجن لأنه كان في فترة من حياته منكبا على دراسة العلوم الروحانية.. في حين اعتبره آخرون مصابا بمس شيطاني.

والواقع أن موت هذا الرجل يعد لغزا آخر بحد ذاته.. إذ تذكر كتب التاريخ أن (الحاكم بأمر الله) قد ركب حماره في ليلة الاثنين 27 شوال عام 411 هـ متجها إلى جبل (المقطّم) مع اثنين من الخدم كمرافقين له.. وبعد خروجه من (القاهرة) وتوغله في المنطقة الجبلية.. اختفى مع الخادمين تماما دون أي أثر!!.. ولم يعرف أحد ما حدث له.

تساؤلات كثيرة أثيرت حول حياة هذا الرجل الذي يعتبره المؤرخون سرا من أسرار التاريخ.. فما هو سبب الغموض الشديد الذي كان يحيط به نفسه؟!.. وما هو سبب التناقض الشديد في قوانينه التي كان يخرقها بنفسه أحيانا كثيرة؟!.. وكيف اختفى؟!.. هل قتل؟!.. على الأرجح نعم.. وربما كانت هناك مؤامرة للتخلص منه وإنقاذ الناس من تصرفاته الغريبة.. لكننا لا نعرف من قتله إن كان قد قتل فعلا.. ولا نعرف أين اختفت جثته.

الذي عبر المحيط

(تشارلز ليندبيرغ) (Charles Lindbergh).. طيار أمريكي لا يختلف عن أي طيار آخر.. سوى أنه كان يحلم في أوائل عشرينيات القرن الماضي بتحقيق إنجاز عالمي بدا مستحيلا للكثيرين آنذاك.. ما هو الإنجاز؟!.. أن يسافر طائرا من بلده (الولايات المتحدة الأمريكية) إلى (فرنسا).. أي عبور المحيط الأطلسي دون توقف.. وضع ألف خط تحت عبارة (دون توقف).. فالطائرات في ذلك الزمن لم تكن تحتمل الطيران لمسافات بعيدة.. خاصة لو علمنا أن طيارين آخرين قد أقدموا على تلك المحاولة قبله بالفعل.. لكنهم لقوا حتفهم جميعا!!.

وحتى يحقق (تشارلز) حلمه.. قام بالتخطيط لتلك الرحلة الرهيبة بدقة شديدة.. إذ كان عليه الجلوس ساعات طويلة تمتد لحوالي يوم ونصف اليوم في قمرة قيادة صغيرة ذات كرسي واحد لا يتيح له التحرك أو ترك المقود أبدا.. وذلك لعبور حوالي 3600 ميل من (نيويورك) إلى (باريس) بطائرة صغيرة ذات محرك واحد فقط شبيهة بالطائرات التي استخدمت في الحرب العالمية الأولى.. وهي الطائرات المتاحة في ذلك الزمن بالطبع.. متتبعا طريقه باستخدام البوصلة وأحيانا النجوم.. فلا يوجد طيار آلي.. ولا نظام ملاحة.. مع حمولة 450 جالون من الوقود سيضطر إلى التزود منه بين الحين والآخر أثناء سفره.. مما سيزيد الطائرة وزنا ويجعل المهمة أصعب وأبطأ بكثير.. كل هذا دون نوم بالطبع.

وهكذا بدأ (تشارلز) رحلته المجنونة هذه عام 1927.. إذ طار خلالها أكثر من 33 ساعة وعلى ارتفاع 10 آلاف قدم أحيانا معرضا نفسه للتجمد حتى الموت.. وأحيانا أخرى على ارتفاع 3 أمتار فقط من سطح البحر لتجنب بعض الاضطرابات الجوية.. إلى أن نجح في هذه المهمة المستحيلة.. ليصل إلى (باريس) أخيرا.. حيث وجد أكثر من 150 ألف شخص يترقبون وصوله بقلق شديد.. لكن ما إن رأوا طائرته في الأفق.. حتى انطلقت صيحات التشجيع والهتافات التي ازدادت حماسا وهو يقترب منهم بطائرته الصغيرة.. ليهبط أخيرا على الأرض بعد أن تعرضت طائرته لأضرار كثيرة.. لكنها أدت مهمتها على أكمل وجه.

وقد كان (تشارلز) مرهقا منهكا بعد هذه الرحلة الماراثونية.. لكن الحشود لم تمهله.. إذ تدافع الناس حوله وحملوه على الأكتاف لأكثر من نصف الساعة محتفلين بهذا الإنجاز التاريخي.. إلى أن تدخل رجال الأمن لتفريق الجموع والإحاطة به لأخذه إلى الاستراحة تمهيدا لجدول حافل بمقابلة المسؤولين ووسائل الإعلام.. وحين أخذوا (تشارلز) في الفندق محل إقامته.. وجد أن هناك الآلاف بانتظاره أيضا يهتفون باسمه ويحتفلون بإنجازه.

في هذا اليوم فقط.. تحول هذا الطيار العادي البسيط إلى بطل عالمي مخلد في ذاكرة البشرية.. وستجد في قناة (youtube) أفلام وثائقية تتحدث عن رحلته وإنجازه هذا.. وقد قامت الحكومة الأمريكية حينها باستصدار طابع بريدي خاص يحمل صورة (تشارلز) تكريما له.. مع مكافآت مادية هائلة بمقاييس ذلك الزمن حصل عليها من حكومات الدول تكريما له.

وبسبب هذا الإنجاز.. شارك (تشارلز) في عشرات الملتقيات والندوات واللقاءات الصحفية.. وقدم ما يقارب 147 خطابا رسميا في حفلات تكريمه.. كما حصل على الكثير من الأوسمة.. أحدها من الرئيس الأمريكي الأسبق (روزفيلت).. وحصل أيضا على لقب (رجل السنة) من مجلة (التايم) في نفس العام.. وهي المرة الأولى التي يتم فيها ابتكار اللقب.. إذ قامت بعدها المجلة بهذا التقليد

سنويا.. حيث تقوم باختيار رجل السنة نسبة لإنجازاته وأفعاله.

ويجب أن نذكر أن (تشارلز ليندبيرغ) له الفضل الأول في أخذ موضوع السفر بالطائرات بجدية بعد أن كانت تستخدم للمسؤولين فقط أو للسفر لمسافات محدودة وعلى فترات متقطعة لخوف الناس من السفر جوا آنذاك.. إذ بدأ بعدها الاهتمام الشديد بتطوير الطائرات واستخدامها كوسيلة ضرورية للسفر وإلغاء المسافات بين الدول.. وهذا ما حدث.. فبعد أن كان عدد من يسافرون بالطائرات لا يتجاوز حوالي 6000 مسافر في العام الواحد.. قفز الرقم فجأة إلى حوالي 170 ألف مسافر في أقل من 3 سنوات.

وقد توفي (تشارلز) في إحدى جزر (هاواي) عام 1974.. حيث دفن هناك ولا يزال قبره قائما حتى يومنا هذا.. أما طائرته.. فهي موجودة حاليا وتعرض للزوار في متحف الفضاء الوطني في العاصمة الأمريكية (واشنطن) كشاهد على إنجازه التاريخي الذي غير نظرة العالم بأكمله إلى الطيران لتصل الطائرات إلى ما هي عليه في زمننا الحالي من أمان وسرعة مع توفر كل وسائل الرفاهية فيها.

الأخير

قبل الدخول في الموضوع.. يجب أن نتحدث عن مصطلح قد يجهله البعض.. مصطلح (المحمية الطبيعية).. فالمحمية الطبيعية هي منطقة جغرافية محددة المساحة تكون عادة تحت إشراف جهة حكومية رسمية.. وتتميز المحمية باحتوائها على نباتات أو حيوانات مهددة بالانقراض مما يستلزم حمايتها من التعديات الإنسانية والتلوث بشتى الصور.

هذا هو التعريف الرسمي للمحمية الطبيعية.. ولكن.. توجد محمية طبيعية فريدة قد تكون الوحيدة من نوعها في العالم.. محمية طبيعية للبشر.. ولإنسان واحد فقط!!.. نعم.. محمية طبيعية يعيش فيها إنسان معزول تماما عن العالم.. بل ويعتبر أكثر البشر عزلة على وجه الأرض.. ففي غابات الأمازون في (البرازيل).. يعيش رجل يُعتقد أنه آخر من تبقى مِن قبيلته.

لقد تم اكتشاف وجود هذا الرجل في تسعينيات القرن الماضي من قبل مجموعة من المستكشفين.. فقاموا بنقل الخبر إلى وسائل الإعلام.. لتلتقط الحكومة البرازيلية الخبر.. خاصة وأن هناك جهات رسمية في (البرازيل) مهمتها حماية القبائل البدائية وتعتبرها إرثا هاما للدولة.. لذا.. قامت الحكومة بتحديد مساحة 31 ميلا مربعا كمحمية طبيعية ليعيش فيها هذا الرجل منعا لأي عابث من الوصول إليه.

وقد قامت الحكومة البرازيلية بإرسال أكثر من بعثة للبحث عنه والتواصل معه للحفاظ على صحته ومنحه ما قد يحتاج.. فوجدوا الرجل عاريا تماما يحتمي دوما بالقوس والسهام كما هو الحال مع الكثير من أفراد القبائل البدائية في غابات الأمازون.. ولوحظ أنه يعيش في كوخ بدائي سرعان ما يتركه ويبحث لنفسه عن كوخ آخر من الأكواخ المهجورة في قريته.. خاصة إذا شعر بوجود بشر بقربه.. فهو يرغب بالعزلة التامة التي يعيشها بقناعة منذ أكثر من 20 عاما ويرفض الخروج إلى العالم.. وهو يقتات من حقل الذرة الصغير الذي يقوم بزراعته ورعايته بنفسه.. ويجمع العسل من خلايا النحل الموجودة في الغابة.

أما بخصوص قبيلة الرجل.. فقد تبين أن بعض أفرادها انتقلوا ليعيشوا في المدن منذ سنوات.. وآخرون فضلوا البقاء في الغابة وماتوا بفعل عامل السن.. لينتهي به الأمر وحيدا رغم خطورة الحياة في غابات الأمازون التي تحتوي على 10% تقريبا من الكائنات الحية في العالم.. إذ تجد فيها كل ما يخطر ببالك من العناكب والأفاعي السامة.. والأفاعي الضخمة أيضا مثل (الأناكوندا).

ولا ننسى أن نذكر أن هناك الكثير من القبائل التي تعيش في أماكن متفرقة من غابات الأمازون.. بعضها وصلت إليها السلطات وقامت بحمايتها.. وأخرى لم يتم التعرف على مكانها حتى الآن.. علما بأن هناك قبائل كثيرة على وشك الانقراض.. منها قبيلة ذلك الرجل الذي يعتبر هو آخر أبنائها.. وقبيلة أخرى لم يتبق منها سوى 6 أفراد فقط.. بعد أن دخل حدودها بعض العابثين وأبادوا أفرادها ببنادقهم مع الأسف الشديد.

وجدير بالذكر أن الحكومة البرازيلية تحرص كثيرا على بقاء تلك القبائل البدائية واستمرارها.. بل وتعتبر مكان إقامة أي قبيلة بمثابة أرض شرعية لها تملكها بحكم القانون رغم اعتراض البعض على ذلك.. إذ يطالب المعترضون بإنشاء المدن الجديدة والمصانع لتوفير مساكن وفرص عمل للناس لتحسين اقتصاد الدولة.. بدلا من إضاعة مساحات شاسعة من الأراضي دون هدف أو فائدة كما

يدّعون.

(تم الكتاب بحمد الله)



Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـاة

فهرس المحتويات..